تجليات القيم الدينية في شعر (محمود مفلح)

الباحث

رائد مصباح الداية *

* عميد المكتبات وأستاذ البلاغة العربية–جامعة فلسطين – غزة

ملخص:

الشعر تعبير عن الحياة بتفاصيلها، حركاتها، ألوانها، أنساقها، تناقضاتها، وكل ما فيها، يسجل الشاعر ذلك كله بحسه ووجدانه وأفكاره وخيالاته في قصائده، ولا نعدم أن نجد فيها وقوفه على أنغام الحياة التي تُبثُّ من عمق الروح بكلمات شاعرية عميقة المعنى، ولا نعدم طلة الآثار الدينية من نافذة البيت الملتزم على جملة من القيم الدينية النبيلة التي تُستقى من القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، وأعراف المجتمع النبيل، والتي تُلقي بظلالها على أفعال الإنسان وأقواله في العبادة التي تقرب الإنسان من ربه، والعقيدة التي تجسد اعتراف القلب واللسان بالله اعتراف صدق ويقين، هذا ما سطَّره الشاعر الفلسطيني المتألق **(محمود مفلح)**، من خلال رؤية المشهد القيمي عن قرب، وعبر انغماسه في أيقونة التدين غير المتطرف، واستطاع أن يجوب بقصائده القيم التي احتلت في النفوس مرقدًا، وسعى ينادي لها بين الناس بحبٍّ وتفاؤل.

Abstract;

Poetry is an expression of life with its details, movements, colors, alignments, contradictions, and everything in it, The poet records all of his feelings, thoughts and fantasies in his poems, and we do not miss to find that he stands on the tunes of life that are transmitted from the depth of the soul in deep poetic words meaning, We do not execute religious views from the window of the house, which is committed to a series of noble religious values derived from the Holy Quran, the Sunnah of the Prophet, and the noble traditions of society Which cast a shadow over human actions and statements in worship that brings man closer to his Lord, and the doctrine that embodies the recognition of the heart and tongue of God, a confession of sincerity and certainty. This is what the brilliant Palestinian poet Mahmud Mufleh wrote, by seeing the value scene in close proximity, and through his immersion in the icon of non-extremist religiosity. He was able to tour his poems with values that occupied the soul as a shrine, and a quest that he calls among people with love and optimism.

Keywords: Religious Values - Poetic Works - Mahmoud Mofleh.

تقدمة:

جميل ذلك الاشتغال بالكتابة الإبداعية التي يحركها الوجدان، والأكثر جمالًا تلك الكتابة التي تفيض فيها الوجدانيات، وينتشي الحس والشعور، كتابة تتعاظم فيها معالم الإبداع، وتتسامى إلى عالم مبدع فاتن، وإنَّ من الشعر لسحرا، يحاكي الواقع العربي المعاصر، ويعدُّ نفحةً من نفحات الأرض والإنسان، هبَّ لنا من غربتنا، يحمل نكهة الوطن بقدسيته وجلاله وعفويته، وتجربة معاصرة ومتقدمة، وهو في الوقت ذاته أصيل، وعميق الجذور والهوى والقيمة.. كما يعدُّ تجربة أحد الشعراء العرب الفلسطينيين.. شعراء الصف الأول بامتياز... شعراء الطليعة الذين عاشوا نكبة فلسطين سنة 48م بتفاصيلها، وحيثياتها، وملابساتها التاريخية، والتي ما تزال بضراوتها الموجعة قائمة الآن، وللغد، حتى يهيِّئ الله – تعالى – رجال نصره، الذين وعد الله بهم في محكم تنزيله لتحرير فلسطين من طغاة العصر أعداء الله، أعداء الإنسانية، تحريرها بقدسها وأقصاها وترابها من صفد الجليل، حتى غزة، ورفح، وعسقلان، والضفة، وكل شبر في تراب الوطن من: أقصاه إلى أقصاه...( )، وإنَّ الشاعر الفلسطيني حمل عبء القضية كغيره من الأحرار، بكل زخمها، ومأساتها، وجبهاتها، وميادينها؛ فتكلم لا عن جهل، وأفصح دونما تعقيد، وأجاد في تصوير الحقائق والوقائع، فأزال الأغطية عن الجرائم المخبأة، وأناط اللثام عن الوجوه المشوهة المسودة، وأزاح الستر عن الأفعال الشيطانية، والأقوال الزائفة، والادعاءات الخطيرة، وفي المقابل أسهم في بيان حقيقة القضية، وجلاء الغبار والطين اللذَيْن ربَضا على سطحها، فكانت تتراءى للعالم مشوهة، وتتكشف مزيفة، فصارت بشعره واضحة الرسالة، جليَّة المضمون، وما زال هذا دأب الشاعر الفلسطيني، الذي لم يتجاهل بدوره بناء الفرد والأسرة والمجتمع؛ بل كانت له كلمة مليئة بالحرص عليهما، ممزوجة بالحكمة، محلاة بجمال الأسلوب، فخرج ناصحًا أمينًا تارة، وواعظًا مرشدًا تارة أخرى، ومبدعًا فنَّانًا متألقًا، فاستعان بقدرته الفائقة؛ للتعبير، فمرة صرَّح بلا مواربة، وأخرى رمَّز دون تراجع، وثالثة زيَّن الخطاب وجلله بالنافع المفيد، والأسلوب الرشيق، حتى كشف بذلك كله عن تجارب عدة، غير متناسٍ أنَّ ذاك وعد إلهي قادم لا محالة، وإنَّ وعد الله قريب. وقد اشتغل الكثير من الشعراء الفلسطينيين ببناء المجتمع سلوكيًا وأخلاقيًا وسياسيًا ودينيًا، والشاعر (محمود مفلح)، واحدٌ من أولئك الشعراء الذين ما فتئوا ينشرون القيم النبيلة،

ويذيعونها بالأسلوب الجميل العذب، والعبارة السهلة، والصورة الملونة المتناسقة، والموسيقى المناسبة، فتحدث عن القيم الدينية وأمدها بأصولها من القرآن الكريم، والهَدْي النبوي القويم.

أهمية البحث:

إنَّ للقيم الدينية ضرورةً بالغةً نادى بها القرآن الكريم، والسنة النبوية، وتداعي من أجلها العلماء والأدباء والشعراء؛ لكونها تسهم في بناء النفوس والضمائر والعقول، وكلهم يسعى إلى بثها ونشرها، كما تطبيقها للفرد والأسرة والمجتمع والكون؛ لأنَّ ذلك يقود غرس دلالات الخير والفلاح والنهضة.

فالتحلي بالقيم التي يغرسها الدين وتتبناها العقيدة الصحيحة مطلبٌ من مطالب الإنسان الرشيد، والتزين بفرائدها آيةٌ من آيات الجمال، فمن العقيدة الصحيحة يستقيم الفكر، ويتحقق الإيمان بالله، وتصح العبادة؛ لكون ذلك ينبني على منهاج الله سبحانه فيعتدل السلوك، وتحسن الأفعال، فضلًا عن أنَّ ذلك كله يقود الفرد والجماعة إلى السعادة في الدارين، الدنيا والآخرة، وميدان الكلمة من الميادين المهمة في بث القيم الطيبة. والشاعر **(محمود مفلح)**بدواوينه المختلفة كان له دورٌ حثيث في ذلك، فقصائده تُرى زاخرة بالقيم الدينية التي تدل على تدين شخصيته، ومحافظته على فكره ومعتقده، ومنظرًا لهما، كما أكد الشاعر معاني الإيمان بالله، أسمائه وصفاته، ورسله، وكتابه، ولم يغفل دور العبادات كقراءة القرآن والصوم والجهاد، وكذا سلوك الإنسان، الأشياء التي لم ينقب عنه أيٌّ من الدارسين من قبل؛ ولكونه واحدًا من الشعراء المجيدين، ولأهمية القيم الدينية في بناء الكون والإنسان كان هذا البحث.

أهداف البحث:

أولًا: الوقوف عند مصادر القيم الدينية، التي يتسلح بها زادًا وعتادًا في حياته الخاصة والعامة.
ثانيًا: الوقوف عند صور القيم الدينية وأشكالها كما رآها الشاعر، ومدى ارتباط الأديب الفلسطيني بقيم دينه عند الفرد والأسرة والمجتمع.

منهج البحث: اعتمد البحث المنهج التحليلي؛ للوقوف على أشكال القيم وبعض صورها المختلفة.

تعريف بالشاعر: هو **(محمود حسين مفلح)**شاعر وأديب فلسطيني، ولد عام **1943م**، في بلدة سمخ تقع على ضفاف بلدة طبرية بفلسطين. في عام **1948م**، حلت النكبة بفلسطين فهاجر مع أسرته إلى سورية، واستقر في مدينة درعا. درس المراحل التعليمية الأولى في مدارس

مدينة درعا، ودرس شهادة أهلية التعليم الابتدائي في مدينة السويداء، ثم درس اللغة العربية في جامعة دمشق، ونال إجازتها عام **1967م**([1]).

حياته العملية: عمل الشاعر في التعليم الابتدائي في مدينة درعا، وبعد حصوله على الشهادة الجامعية عمل في التعليم الثانوي في مدينة القامشلي ثم في مدينة درعا. أعير للتدريس في المملكة المغربية عام **1976م**، ثم عمل في المملكة العربية السعودية في مجال التربية والتعليم، ثم عمل موجهًا تربويًا لمادة اللغة العربية. ومن العضويات التي ترأسها: عضو اتحاد الكتاب العرب بدمشق، وعضو اتحاد الكتاب الفلسطينيين، وعضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية([2]).

أعماله الأدبية: كتب الشاعر **(محمود مفلح)** القصيدة الشعرية، والقصة القصيرة، والمقالة، ومارس النقد الأدبي، وله العديد من المقالات، والدواوين الشعرية، والمجموعات القصصية، التي نشرت في معظم المجلات الأدبية العربية، **وهذه بعضها:**

أولًا: الدواوين الشعرية

ديوان مذكرات شهيد فلسطين، نشر عام **1976م**، في دمشق، وديوان المرايا، نشر عام **1979م**، في بيروت، وديوان الراية، نشر عام **1983م**، في عمّان، وديوان حكاية الشال الفلسطيني، نُشر عام **1984م**، في الرياض بالمملكة العربية السعودية، وديوان شموخًا أيتها المآذن، نُشر عام **1987م**، في عمان بالمملكة الأردنية الهاشمية، وديوان البرتقال ليس يافويًّا، نُشر في الرياض بالمملكة العربية السعودية.، **و**ديوان إنها الصحوة.. إنها الصحوة، نشر عام **1988م**، في المنصورة بجمهورية مصر العربية، وديوان نقوش إسلامية على الحجر الفلسطيني، نُشر عام **1991م**، في المنصورة، وديوان لأنك مسلم، نُشر عام **1995م**، في المنصورة، وديوان فضاء الكلمات، نُشر عام **1987م**، في الرباط بالمملكة المغربية.

ثانيًا: المجموعات القصصية

مجموعة المرفأ، نُشرت عام **1977م**، في دمشق، ومجموعة القارب، نُشرت عام **1979م**، في بيروت، ومجموعة إنهم لا يطرقون الأبواب، نُشرت عام**1985م**، في الرياض بالمملكة العربية السعودية، ومجموعة ذلك الصباح الحزين، نُشرت في الرياض في المملكة العربية السعودية.

1) www.ektab.com
2) www.ektab.com

ثالثًا: الأناشيد، والمجموعات الشعرية

أناشيد للأطفال، وغرد يا شبل الإسلام، نشر عام **1991م**، في عمّان، وقراءات في الشعر السعودي المعاصر، والمجموعة الشعرية: لا تهدموا البرج الأخير، نشرت عام **2016م**([1]).

تعريف القيم: القيم واحدتها القيمة، فعله: يُقيم، وماضيها: قيَّمَ، وأصله الواو؛ لأنه يقوم مقام الشيء. القيمة: ثمن الشيء بالتقويم، تقول: تقاوموه فيما بينهم([2])، وما له قيمة إذا لم يدم على شيء([3])، وتطلق القيم على الفضائل الدينية والخُلقية والاجتماعية التي تقوم عليها حياة المجتمع الإنساني([4]).

القيم اصطلاحًا: هي "جملة من المقاصد التي يسعى القوم إلى إحقاقها متى كان فيها صلاحهم، عاجلًا أو آجلًا، أو إلى إزهاقها متى كان فيها فسادهم، عاجلًا أو آجلًا"([5]).

القيم الدينية: هي مجموعة من المبادئ والضوابط التي تُحدّد سلوك المؤمن تجاه ربه، ثم تجاه الكون بما فيه.

أشكال القيم الدينية: تتمثّل القيم الدينية في الانتماء إلى الدين الحنيف، والتعرف إليه، والتصديق بعقيدته، والعمل بأركانه وفرائضه، والتحلي بالسلوك الذي أقره في معاملة الإنسان لنفسه، وربه، والناس من حوله، والالتزام بالقواعد والقوانين التي تنشأ للمحافظة عليه، والقيام بالواجبات المطلوبة منه، **وأبرز أشكال تجليات القيم الدينية، يوجزها البحث فيما يلي:**

<u>الباب الأول:</u> تجليات القيم الدينية في حياة الفرد والمجتمع المسلم.

<u>الباب الثاني:</u> تجليات القيم الدينية في بعض شؤون الحياة.

الباب الأول تجليات القيم الدينية وتأثيرات مصادرها

إنَّ أهم ما يمكن أن ترتكز عليه القيم الدينية التي تستهدف الفرد والجماعة تلك التي نبعت من المصادر الإسلامية الثابتة من القرآن والسنة، وإنَّ الأدب الإسلامي نهل من معينهما ما يصلح للإنسان في حياته، كما اتسع هذا الأدب ليضم المعاني والقيم الإنسانية كالحب والغيرة والكرم

1) .www.alukah.com

2) ابن منظور، لسان العرب، مادة (قوم)، والجوهري، الصحاح في اللغة، مادة (قوم).

3) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة قوم.

4) قاموس المعجم الوسيط، مادة قيم.

5) عبد الرحمن، طه، الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، المغرب، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط2، 2006، 68.

والبخل والشجاعة والتضحية والصداقة والأمومة والجنس والخير والشر والفضيلة والرذيلة والإيمان... ونحوها([1])، وقد اجتهد كثيرٌ من الأدباء فأخذوا من هذين الأصلين معاني وتصورات وقيمًا أثروا بها أفكارهم، وشكَّلوها بلغة أدبية رشيقة تصلح للإمتاع والإقناع، ومن أولئك الشاعر **(محمود مفلح)** الذي اكتملت في ذهنه صورة الأدب الإسلامي، كما قال **(عبد الباسط بدر)**: إنَّ الأدب لا بدَّ أن يستند إلى معتقد، وأن يصدر عن تصور يكون خلف التعبير، وقد أدَّى ارتباط الخطأ وفساد التصور إلى زيادة قلق الإنسان، وزيادة آلامه المضنية، فإذا أحسنَّا ربطه بالعقيدة الإسلامية صححنا مساره، وهيَّأنا له فرص إبداع عظيمة([2])، وقد أذكى الشاعر في قصائده المختلفة هذا التصور، وخلَّف وراء التصور القيم الدينية النبيلة، وهذا ما حذا بالبحث أن يقف عندها مفهومًا وأهمية؛ لما لها من أثر واضح ومهم في حياتهما.

العقيدة لغة: مشتقة من كلمة **(عقد)**، يقال: اعتقد، يعتقد اعتقادًا، أخذت من العَقد، وهو الشَّدُّ، والرَّبط بقوَّة... وتحمل معاني عدة، منها: (اللزوم، التأكد، الوثوق)([3]).

اصطلاحًا: الإيمان الجازم بالله في ألوهيته، وربوبيته، وأسمائه، وصفاته، والإيمان بملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين، وأمور الغيب وأخباره**([4])**، والعلاقة بين العقيدة والأدب الإسلاميمتلازمة، لذا جعل **(عماد الدين خليل)** للأدب وظائف سبعًا، أولها الوظيفة العقدية([5])، وتعدُّ قيم العقيدة في الحياة قيمًا عظيمةً مهمة الحضور في حياة الإنسان؛ لكونها تنظم فكره، وتذهب عنه الاضطراب والتشتت، كما تؤثر في سلوكه وأخلاقه ومعاملاته، كما أنها جزءٌ من القيم الإسلامية المستقَّاة من أصول الدين – **القرآن والسنة** –فهي تغرس في المسلم أفضل المعاني، وأجمل التصورات عن الحياة، وتحدد له طريق هداية الفكر والسلوك، فيغدو المسلم منتميًا لدينه، وعروبته، ووطنه، وهي رسالة يحملها المؤمنون بالله من العلماء والأدباء والشعراء إلى البشرية، ولقد ركَّز

1) أبو خضيري، عارف كرخي، العالمية: نحو نظرية الأدب الإسلامي، 65.

2) بدر، عبد الباسط، مقدمة لنظرية في الأدب الإسلامي، دار المنارة، جدة، ط1، 1986م، 46.

3) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة: عقد.

4) العقل، ناصر، مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة، ومواقف الحركات الإسلامية المعاصرة منها، دار الوطن، ط1، 2011م، 11– 12.

5) خليل، عماد الدين، مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي، دار ابن كثير، دمشق، 2007م، 9.

الشاعر في رسالته الشعرية على العقيدة وذكر مصادرها التي تتجلَّى فيها تفاصيل كثيرة في مقدمتها المصدر الأول وهو القرآن الكريم الذي يدعو إلى التمسك بالعقيدة السمحة، كما يجد القارئ فهمًا عند الشاعر لتفاصيل هذا المصدر، فهو يحاول من خلال ذلك أن يدعو الناس لما فيه؛ إيمانًا منه ببالغ آثاره وجدواه، وكذا المصدر الثاني وهو السنة النبوية المتمثلة في أقوال الرسول – ﷺ – وأفعاله، وتقاريره، والناظر إلى أشعار **(محمود مفلح)** يجد حرصًا منه على ذكر تقاناتٍ متعددة تسهم في إثارة المتلقي؛ لينهل منها، ويتأثر بها، وكثيرًا ما توشحت قصائد الشاعر بأشكال اللغة وصورها وأساليبها المختلفة، ومن ذلك ما وظفه عن طريق الانتقال من لغة السرد إلى الوصف فالحوار، ومنه الصورة بما تحتويه من ألوان وتناسق وحركات، إيمانًا منه بأنَّ ذلك التنوع يخدم تبيان الدين بتعاليمه وقيمه الشأن الذي يُعدُّ ضروريًا ضرورةٌ حتمية، ما حدا الشاعر أن يعبر عن رسالته الدينية في ثوب أدبي، رغم أنَّ البعض يرى في لغة الأدب أنها "مادة غامضة، ومركبة، ومعقدة، على الرغم من سطحها الرقراق"([1])، والشاعر ما كان ليعتمد على اللغة المباشرة في إرسال رسالته، وبث ما في مشاعره؛ إنما حمل ذلك بالصور الاستعارية والكنائية والمجازية والمفارقات؛ ليأخذ بلبِّ المتلقي، كخطوة صرفته عن الاهتمام بالإلقاء أو الحرص عليه باتجاه تأسيس النص المختلف، وتأكيد المنحى الكتابي للشاعر الحديث، الذي بدا غير معنيٍّ بشكلٍ ما بقضيةٍ تلقي الجمهور لشعره تلقيًا انفعاليًا([2])، وقد استطاع الشاعر أن يثبِّت ضرورة الأخذ بهذين المصدرين المرشدينللإنسان المسلم، وضرورة الإيمان والتصديق بما فيهما من أسماء الله وصفاته، ورسله، وملائكته، وكتبه، والقدر؛ خيره وشره، حيث يدعو إلى اتخاذ القرآن إمامًا وهاديًا، **كما في قوله:**

أنبت القرآن في جنبيَّ... بردًا وسلامــا فاجعل اللهم قرآنك هديًا وإمامــا([3])

قد عرف الشاعر داءه وعلته، واستدلَّ إلى الدواء البلسم، الذي يداوي جرح نفسه، ويهدئ أوجاعه، ويلقي البرد والسلامة عليه، إنَّه القرآن، فرجا من ربه أنْ يمنحه هدايته، ويجعله نبراسًا وإمامًا، يرشده، ويعلمه، ويهذبه، وينقلب إلى لقاء ربه مسرورًا به، محظيًا بشفاعته.

---

1) وهب، رومية، شعرنا القديم والنقد الجديد، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، 1996م، 13.

2) ستار، عبد الله، إشكالية التلقي في جدل الحداثة الشعرية، مجلة كلية التربية الأساسية، الجامعة المستنصرية، ع53، 2008م، 2.

3) مفلح، محمود، الأعمال الشعرية الكاملة، 84/1.

إنَّ تلاوة القرآن الكريم وقراءته، والعمل بما فيه يسهم في تجلي الأرواح، وتسامي النفوس، وتزكية الخواطر، وتهذيب الجوامح. فالقرآن المنبع الشافي، والمصدر الكافي، وهذا ما أذكاه الشاعر في قصيدة **(عشاق الفجر)**، فقد لجأ إلى تكرار أمره **(اقرأوا)** المتصل بواو الجماعة؛ لأنه يدرك أثر هذا المصدر في نفوس الجماعة، كما أدركه في نفسه، وتكرار فعل الأمر يدل بلا ريب على اقتناعه بجدوى الطلب، ويؤكد ذلك المدائح الحقيقية التي أتبعه بها **(فيه عظات)**، **(اقطفوا منه يانعات الثمار)**، **(عقدًا، سوارًا، برقًا، قصفًا، شوقًا، سحابًا)**؛ ليثبت أنه مصدر جليل، مكتمل الأركان، وفي ثنايا ذلك يُلقي شذراتٍ من القيم الكريمة التي تنشأ منها، **يقول:**

فاقرأوا ذكركم رخيمًا قويـــــــــــــًا   في الضحى في المساء في الأسحــار
وتأسَّوا فإن فيه عظـــــــــــــــات   واقطفـــوا منه يانعات الثمـــــار
فاقرأوه عقدًا يجيد الليالـــــــــــــي   وسوارًا بمعصم الأقــــــــــــدار
واقرأوه برقًا وقصفًا وشوقـــــــــــًا   وسحابًا يسحُّ بالأمطـــــــــــار
واقرأوه لفظًا ومعنى ووحيـــــــــًا   وصلاةً للواحد الجبـــــــــــار
واقرأوهـــــــــا (انفروا خفافًا وثقالًا)   فانفروا في الجبال والأغــــــــوار
واقروهـــــــا (إن تنصروا الله ينصركم)   وشدوا بهـــــا على الفجـــار [1]

قد تتآزر التعابير من خلال وحدة الصورة والفكرة اللتين هما إحدى وظائف الخيال الأساس[2]، وكما رأى **(محمد قطب)** من أنَّ الفكرة وليدة الفطرة، وإنما يُحكم بنضوج الفكرة بقدر نقاء الفطرة؛ لما بين الفكرة والفطرة من وشائج... فإذا مُسخت الفطرة وتشوهت الفكرة تبعًا لذلك انحدر الأدب بمقدار ذلك المسخ، وذلك التشوه[3]، والشاعر تتراءىأفكاره التي ولدتها فطرته التي تغذت من تعاليم الإسلام، فبدت المعاني الدينية تتكشف من عناوين قصائده، ومنها تلك القصيدة **(عشاق الفجر)**، فعبَّر من خلاله عن نقاء الفجر وعشاقه، ويَبِيْن الرابط بين المضاف والمضاف إليه، وخلص من ذلك إلى وجود رابط العشق لصلاة الفجر، وما يتبعها من عبادات في وقت الفجر الذي كان اسم

---

1) مفلح، محمود، الأعمال الشعرية الكاملة، 72/1.

2) كولردج، النظرية الرومانتيكية – سيرة ذاتية، ترجمة: عبد الحكيم حسان، مصر، دار المعارف، 1971م، 251.

3) قطب، محمد، منهج الفن الإسلامي، دار الشروق، بيروت – القاهرة، ط6، 1983م، 119 –120.

سورة من سور القرآن، ثم تواشجت علاقة العنوان بفكرة النص، فنجد تردد فعل الأمر المصحوب بضمير العود إلى القرآن وآياته، إذ يوجه الشاعر فيه عموم المسلمين إلى ضرورة قراءته قراءة المتدبر الواعي، والمتأمل المتفكر؛ لكونه يشحن النفس بالشجاعة، ويعزز فيها البسالة، يذكرها بدورها الأساس، ويتردد أمرٌ آخر بتوظيف واو الربط المصحوبة بالفعل المستقبلي الواصف، لتكن قراءتكم رخيمة الصوت، قوية النفس، تدور في الأزمنة كلها، وألحق بالأمر أمرًا بالاقتداء بما فيه، والاهتداء بما تشعه عظاته، وأمرًا بحصاد بساتينه اليانعات، وقطوفه الصافات المبشرات، وردد **(اقرأوا)**، آمرًا المسلمين بالعمل بما تنطق به آيات الجهاد فيه، من قصف رؤوس المشركين، في سورة **(التوبة)**، وسورة **(محمد)**، تمامًا كما تقرأه مليئًا بالعقاب، ومحذرًا بوقوع العذاب. فالأمطار التي تسح منها السحب الثقال نذير شؤم، وأمارة هلاك. فاقرؤوا ذلك أيها المسلمون لفظًا ومعنىً ووحيًا؛ إدراكًا لأثرها، وتعبدًا ودعاءً وصلاةً لله الواحد الأحد، واقرأوا **قوله تعالى: (انفروا خفافًا وثقالًا)**، القول الآمر المؤمنين بالنفير بكل شكل وفي كلِّ مكان على المشركين والكافرين الذين يسعون للنيل من المسلمين. واقرأوا واعقلوا وأدركوا واعلموا أنَّ نصر الله لا يتحقق لكم على عدوكم إلا بنصرة دين ربكم، فكونوا من ناصري دينه، والقائمين على كلمته، بشدِّ الوثاق، وضرب الأعناق؛ صدًا لعدوكم، وردًا لخصمكم الذي يشد للنيل منكم. ويحاول **في قصيدة (حي على الفلاح)**، أن يُحفِّز قارئه، ويشجعه، ويأخذه إلى عالمٍ فريدٍ من الصفاء، والمروءة، والقوة، وصدِّ ما يناقضه، وردِّ ما يجابهه، **يقول:**

مـــا أطهر النفس لما تصيح للقرآن

لحنٌ تموَّج عطرًا على مـــــــــدى الأزمان

حداؤه أزليٌّ ونفحـــــــــــــــه رباني

جرى فقوَّض عرشًا على ذوي التيجـــــان([1])

إنَّ "الألفاظ تجري من السمع مجرى الأشخاص من البشر. فالألفاظ الجزلة عليها مهابة ووقار، والألفاظ الرقيقة تتخيل كأشخاص ذوي دماثة ولين أخلاق ولطافة مزاج"([2])، وذلك المقطع يزخر بألفاظ تتسق وتتناسق من البناء التعجبي الذي يرسم طهْر النفس المؤمنة التي تصدح بالقرآن الكريم على لوحة متحركة تُغَنِّيه، وتُمَوِّج دلالاته، (أطهر، عطرًا، نفحات)، فتتعطر الآذانُ،

1) مفلح، محمود، الأعمال الشعرية الكاملة، 98/1 – 99.

2) ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، مصر، دار النهضة، 252/1.

لما يكون لها من بالغ الأثر، وما تصيبه النفس من نفحاته الربانية، وينقضُّ عرش الطاغوت وصحبه من قوته وهيبته وسلطانه، فهي تشكل لوحة قرآنية متحركة، تستحضر المعاني والدلالات والإيحاءات ذوات النفحات؛ لتكون مِقودًا وموجهًا نحو تمكين الواقع الذي يتصوره الشاعر، ويرى أنه الأكثر إضفاءً للخير على البشرية. وفي قصيدة **(نحن إسلامنا عظيمٌ عظيم)**، يؤكد أنَّ القرآن هو مصدرُ العزَّة، ومنبعُ الكرامة، ومنطلقُ الهداية، ومعراجُ السمو، **يقول:**

ظلمة الليل لن تطول علينـــــــا ولدينـــــــا نبراسنـــــــا القرآن
فيه نبض الحياة، فيه الأمانـــــي فيه أيامنا الوضَّاء الحســـــــان
فيـــــه عزٌّ، وفيـــــه هدىً ونصـــرٌ وسواه الضلال والخســـــــــران
كم يريدون أن يقول ســـــــــواه وهو لا منطق له... لا لســـــان
حاولوا حاولوا اغتيال المثانـــــي ليت شعري هل يطفأ الإيمـــــان([1])

إنَّ الإحساس بقيمة القرآن وأثره في الحياة يغمر الشاعر، ويسيطر عليه، وهو بذلك يقدمه في صورة شعرية تتسق ألوانها مع معاني آيات القرآن، لا كما يراها هو نفسه فحسب؛ بل كما هي في واقعها، فهو يتوسم جلاء الظلمة عن الواقع المُرّ بوجود القرآن الذي كان وما زال قادرًا أن يكون نبراسًا للإيمان والعمل، يبرهن ذلك بحقيقة كونه نبضًا للحياة، وبدونه لا قيمة لها، مواتٌ ضاربٌ في نواحيها وجنباتها، ثم يفقد الشاعر الأمل في اتخاذ الناس القرآن مذهبًا يقودهم في دروبهم إلى مقاصدهم وأهدافهم، فيدفعه ذلك إلى استرجاع الماضي الوضَّاء، المليء بالمحاسن، أيام أن كان القرآن قائد عموم الناس وخاصتهم، وعزَّهم وهاديهم وناصرهم، كان الناس يوقنون به دونما ريب، معتقدين أنَّ الأخذ بسواه ما هو إلا ضرب من الضلال والخسران، ثم يعاود رسم واقعه؛ ليتحدث عن علاقةٍ واهنة واهية تجمع الناس بالقرآن، ودليل ذلك أنَّ البعض يبحث عمَّا يقوله البشر، يقبلون إليه، آخذين له، رغم لا منطق لهم، ولا لغة متينة لقولهم، مجتهدين في اتهام المثاني من القرآن الكريم باللغط والقِدم، محاولًا تصوير ما يفعلونه بالقرآن من اغتيال للمثاني من سوره، وتصوير الإيمان بالشعلة التي يطفئون شعلتها؛ ولكنَّ شعلة الإيمان لا تنطفئ، ولا تبور، سؤالٌ أنهى به مقطوعته، قصد من ورائه النفي القاطع، كأنه يعلنها بلا مراء **(لا لن ينطفئ الإيمان)**، وحذف منه مكان الإيمان؛ لكونه معلومًا ضمنًا، فهو يقع في

1) مفلح، محمود، الأعمال الشعرية الكاملة، 297/1.

الصدور والعقول، فلن ينطفئ الإيمان من الصدور ولا العقول، والشاعر لا يفصل بين مصدري الدين – **القرآن والسنة** – في ترسيخ عقيدة المسلمين، إذ يؤكد صلاحية أخذ العقائد من هذين النبعين، **يقول:**

أين من تلكم العقائد ديـــــــــــنٌ ربُّه الله... والرسول الأميـــــــــــن
وحياةٌ كأنها النرجس الفـــــــوَّاح في طهرها أو النسريـــــــــــــن
ليس فيها للحاقدين مكـــــــانٌ ليس فيها الجذام والطاعـــــــون([1])

لا مقارنة بين عقيدة التوحيد وغيرها من العقائد. فعقيدة التوحيد كفى بها حسنًا أنْ جاءت من الله تعالى مكتملة الأركان، تسعى إلى بناء حياة كريمة للفرد والمجتمع والناس كافة، كما نزلت على رسول الله – ﷺ – فبلغها بأمانة دون تغيير أو تبديل أو تحريف، فكانت حياة مَن آمنوا بها رغدة سعيدة، يفوح جمالها وطهرها عطرًا، لا مكان فيها للحاقدين، كما لا مكان فيها للمجذومين والمطعونين، وما زال الشاعر يؤكد قوة تلك العقيدة، ويؤكد تقدمها على العقائد الأخرى، محاولًا أن يدرأ عنها الشبه، كما في قصيدة **(لو شعَّ نور الحق)، التي يقول فيها([2]):**

يـــــــا ويحهم حسبوا العقيدة قصعة إمَّا ظفرت بها بلغت مرامـــــــــــا
يـــــــا ويحهم جعلوك بطنًا قد خوت والمسلمين على الخطا أنعامـــــــــا
لـــــــو شَعَّ نور الحق في أحداقهم عرفوا العقيدة منهجًا وحسامـــــــــا
عفوًا أخي في الله تلك خدودهـــــــم وأنا أبرئ نهجك الأسقامـــــــــا
لم يدركوا أنَّ القضية عندنـــــــــا دينٌ أغرُّ يواجه الأصنامـــــــــا
وعقيدةٌ كالطود تطلق خيلهـــــــــا وتزيح عن درب الحياة ركامـــــــا
هذي عقيدتنا وذلك نهجنـــــــــا فاقرأ علينا (الفتح) و(الأنعامـــــــا)([3])

تجملتقصيدة **(لو شعَّ نور الحق)**، بعنوانها الذي حمل ثلاث دلالات كبرى، الإشعاع، والإنارة، والحق، وهي أوصاف لموصوف واحد هو الدين والعقيدة؛ جاء بها تحفيزًا للنفوس؛ كي تستقبل الفكرة التي حملها نص القصيدة في أثواب صور جميلة، فجاءت الشحنات منها مؤثرة في

1) مفلح، محمود، الأعمال الشعرية الكاملة، 126/1.

2) مفلح، محمود، الأعمال الشعرية الكاملة، محمود مفلح، مؤسسة إحياء التراث، وتنمية الإبداع، ط1، 2017م، 112/10.

3) مفلح، محمود، الأعمال الشعرية الكاملة، 112/1.

النفوس، وتجلت القيم التي ينشدها المجتمع المسلم كله فأظهرها الشاعر بعدسته عندما تناولعقيدة المسلمين في نظر الحاقدين عليها بأنها قصعة استخفافًا بها، كما صوَّر نظرتهم للمسلمين أنفسهم بأنهم أنعام، وبدأ يُصوب أسلوبهنحو الواقع دفاعًا أو ردًّا على تلك المساخر فصورها بمصدر للإشعاع والنور والحق، وهكذا تتجول عدسة الشاعر في التقاط الصور، فما يلبث أن ينتقل من صورة إلى حوار يساعده في عرض فكرته معتمدًا على تقانة التكرار الصوتي حيث كرَّر كلمة (**العقيدة**)ثلاث مرات؛ محاولًا تثبيتها، وأتبعها بالتكرار الدلالي الذي أكد به فكرته. فكلمات (**الخُطا، نور الحق، منهجًا، نهجك، القضية، دينٌ أغر، الطود**)، تتواشج دلالاتها في حقل العقيدة؛ لتعبر عن أثرها في نفوس المسلمين في محاولة بتِّدفقات من الأمل؛ لكون العقيدة ركيزة الدين والدنيا، فيا لجهل مَن جعلها عابرة، فلو ظُفر بها واتُّخذها هدفًا لكان الهدف عظيمًا، فحينما يفرغ المسلم من عقيدته، ويتخلى عنها، فلن تتجاوز رتبته في الحياة رتبة الأنعام في العيش. وإنَّ للعقيدة أنوارًا تشعُّ في عيون أصحابها، وقد جعلها أصحابها المنهج وطريق الشجاعة التي هي طريق الحراب والحسام. فالشاعر يطلق اعتذاره لأخيه عن جهله لدروبهم وحدود سبيلهم، ويعترف بتبرئة منهج أصحاب العقيدة الحقة من الأسقام، مفصحًا أنَّ خصومهم وأعداءهم لم يدركوا أنَّها عقيدة دينٍ نقيٍّ، تنصُّ على مواجهة الكفر بأصنامه وأزلامه. فالعقيدة الإسلامية شامخة كالطود العظيم، تطلق رجالها الأحرار مجاهدين على ظهور الخيل؛ ليزيحوا من دروب الحياة الكدر الذي ينشأ من الشرك، والركام التي يخلفها الكفر.

إنَّ الإيمان بالفكرة لا بدَّ أن يكون إيمانًا خالصًا حتى يؤتي أكله، ويحقق لصاحبه أمله ورجاه، وهذه خاصية للأدب الإسلامي، كما قال أحدهم: الأدب الإسلامي ينبغي أن يكون أدب فكرة لا أدب فترة([1])، كما لا بدَّ أن يمارس المسلم عبادة ربه عاقدًا العزم، وموجهًا القصد إليه دون سواه. فالإخلاص سمتٌ فريد، وخاصيةٌ مميزة لفئة ليست كثيرة العدد من الناس، والشاعر يحاول أن يحمل النفس من بؤرة الرياء من خلال ذمه له إلى ميدان الإخلاص الطلق، كما في قصيدته التي حملت **عنوان (يا سيدي عذرًا)، يقول:**

وهنــــــــــــــــاك من ظنَّ الرياء   براعــــــــــــــــــة فعلى رياءا
إن يزرعــــــــــوا فحصادهم   يـــــــا سيدي كان الهواءا([2])

1) الأمراني، حسن، سيمياء الأدب الإسلامي، بحوث المؤتمر الثاني، جامعة الزرقاء الأهلية، 53.

2) مفلح، محمود، الأعمال الشعرية الكاملة، 97/1.

يعاود الظرفُ المكاني **(هناك)** الدال على البعد الحضورَ في نفْسِ الشاعر؛ إشارةً إلى بعد مكان المرائين الظَّانين مراءتهم براعةً وذكاءً وفطنةً والذي يشير إلى بعد الشاعر النفسيّ عنهم؛ لكونهم يتخذون الرياء مطيةً؛ لتحقيق مآربهم، حتى صار الرياءُ شرعتهم، فهؤلاء إنْ زرعوا فزرعهم يباب يابس، وحصادهم شيصٌ لا قيمة له، كأفئدتهم، كلاهما هواء، وبمفهوم المخالفة فالإخلاص سلاحٌ قويٌّ، وهو أساس القبول والتوفيق.

إنَّ الإيمان بأسماء الله وصفاته من أركان عقيدة المسلمين الثابتة، الأمر الذي وظَّفه الشاعر حيث ذكر صفة الله **(الرحمن)** التي وصف بها نفسه دلالة على سعة رحمته، فقد عمَّ بها عباده، كما ذكر **(الربوبية)** مضافةً إلى **(الجنود)**؛ نسبة إليه، وتشريفًا للملائكة، وتقوية لعزائم المؤمنين؛ كي ينزعوا القلق والخوف من صدورهم؛ لأنَّ معية الله بجنوده المرسلين لتأييدهم حاضرة، والشاعر بدأ قصيدته بالذكر الحكيم الذي لا يأتيه الباطل، والذي يعدُّ ذكرًا تطمئنُّ به القلوب، كما ذكر بعض الحقائق فيه، من ضرب الأمثال للناس، بأنَّ الله يحيي الأرض بعد موتها، ويأتي بعد الابتلاء بشرى، ثم ذكر الملائكة المقربين في بعض مهماتهم التي يجب الإيمان بأنها موكلة إليهم حيث يرسلهم الله جنودًا ينصرون عباده المؤمنين، ويؤازرونهم عند لقاء الأعداء، كما **في قصيدة (نشيد للقدس)، التي يقول فيها:**

قـــــــــــــــل أخي: قلها فما أنداه ذكــــــــــــــــــــــرا
قلهـــــــــا... تر الأرض الموات تزف بعد الموت بشـــــــــــــــرى
قلهـــــــــــــــــــــا تر الرحمــن يرسل جنده وبشـــــدُّ أزرا
فجنود ربك يا أخي... حـــــــــق لمن أولاه نصـــــــــــــــرا([1])

كما وظَّف الشاعر أسماء الله وصفاته في كثير من قصائده، فما أجمل الحوار مع الله **– تعالى –** في صوره الجليلة، فاسم **(الله)**، وصفاته **(قوي، مقتدر)**، توحي بعظمة هذا الإله، وقوته وقدرته على منح الإنسان ما يأمل، وإعطائه ما يرجو، وتغيير حياته بمجرد أن يتوكل عليه، وأن يجعله حسيبه، ويتجول الشاعر ما بين ابتهال، وطلب، ودعاء، وتعليل، كلها معانٍ تُضفي على النفس فرحًا وسرورًا، وتزهو بالروح إلى معاليها، ابتهالٌ يتوجه به العبد إلى ربه بكلمات الافتقار والمسكنة؛ طالبًا منه مِنَحَ العفو، والمغفرة، والرشاد، والإيمان، وفي قصيدة **(يا نفس)**، ينفث الشاعر بحرصٍ ونُصحٍ ومحبَّةٍ معاني الصلة بالله، والالتجاء إليه، **فيقول:**

1) مفلح، محمود، الأعمال الشعرية الكاملة، 93/1.

قـــــل: توكلت على الله وسر حســـــــــبك الله قويٌّ مقتدر
لا يغرنَّك شيطـــــــــان هوىً فالشيـــــاطين على الدرب كُثُر
أو رؤى نفسٍ، وما أتعســـها حينما تستمرئ النفس البطـر([1])

أمرٌ مزيَّنٌ بالنصح، ومحمولٌ بالشفقة، ومحفوفٌ بالدعوة إلى التوكل على الله **– تعالى** – في أثناء السير، فيكفيك الالتجاء إليه، والتوكل عليه؛ لكونه ربًّا قويًّا مقتدرًا، محذِّرًا من الغرور بعمل الشيطان والهوى، مشيرًا إلى كثرة الشياطين على الطريق، وتداعي رؤى الهوى في السبيل، فما أسوأ الحياة التي يستمرئ فيها الشيطان هوى النفس، عندئذ تتعالى عن تتبع الخير، وتكتفي بهما عن إدراك حقيقة الوجود.

الاستعانة بالله، ورجاءه والالتجاء إليه من دواعي الإيمان والعقيدة، والشاعر لا يكفُّ عن ذلك؛ لكونها أمارة من أمارات تقوى الله، وهي أمارةُ خيرٍ، ومَسِيرٌ مكرَّم، وطريقٌ موفق، يعود إلى الفرد والمجتمع بثمراتٍ يانعاتٍ، وفوائد مجتمعاتٍ. فالتقوى جسر لبناء الإنسان بالقيم، كمعرفة الإنسان ربه وخالقه، ويدرك بها أنَّه مراقبٌ ومتابعٌ، ويجتهد في الإحسان، ويُبطِّئ عند الإساءة، يبقى في صلة مع الله لا تنقطع، وعبادةٍ لا تخبو، ويرضى بها بما قدَّر الله له، **ففي قصيدة (واتقوا الله)**، لا يذهب شيء من تلكم القيم عن نبض الشاعر، **فيقول:**

لا أرجي غير الإلـــــــه.. محال هو ربي، وخالقي... والنـــــــــور
يـــــــا إلهي إليك أحمل نفسي وإلى بابك الكريم... أطيـــــــــــر
أنت لوذ الفقير.. أنت غنـــــاه هل يرد الظمآن... نبعٌ غزيـــــــــر
عفوك الله... أنت فيضٌ من النـــور وذاك الذي ذكرتُ... اليسيـــــــــر([2])

وإنَّ سلوك الترجي لما عند الآخر يرفضه الشاعر بأداة النفي **(لا)**، ولا يقبل توجيهه لأحدٍ سوى الله؛ لكونه الخالق المستحق للرجاء، ويظهر الشاعر كيفية لجوئه إلى ربه ومقابلة الرب لعبده ولو كان فقيرًا في عيون الناس فهو غنيٌّ عندما يلجأ لمولاه.ومعلوم أنَّ"نظرة الشاعر إلى الكون لا يُستغنى عنها أبدًا في نقد الشعر؛ لأنَّ تلك النظرة هي التي تنير الطريق أمام الناقد، فلا تجعله يخبِط في ليلٍ مظلم"([3])، ويستلهم الشاعر في المقطوعة السابقة قوته وغناه واستقامة حاله من

1) مفلح، محمود، الأعمال الشعرية الكاملة، 85/1.
2) مفلح، محمود، الأعمال الشعرية الكاملة، 74/1.
3) عبد الرحمن، نصرت، الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث، عمان، مكتبة الأقصى، 1982م، 16.

عفو ربِّه، ويصدح مؤملًا بالغًا ما بلغ صوته الذي توشح بأصوات المد التي توزعت في أرجاء قصيدته فالألف **(لا، يا، غناه، الظمآن)**، ثم صوت الياء الذي أوحى بانكسار جناحه أمام خالقه القوي، الكبير، **(أرجي، غير، ربي، خالقي، إلهي، نفسي، غزير، اليسير)**، فهو يخاطب ربه وإلهه وخالقه خطابًا مباشرًا، وفي رؤيته الشعرية هنا يقصر الشاعر رجاءه على الله تعالى، مخبرًا أن الالتجاء والرجاء لغيره محال؛ لكونه هو مَن يستحق العبادة دون غيره، فهو الربُّ، والخالق، والنُّور، ويتوجه إلى بابه الذي لا يصدُّ ولا يردُّ؛ طالبًا راجيًا مؤملًا، فهو الإله المتين، الذي يحتمل من عبده التقصير والخطأ، يفتح بابه للسائلين والمتعثرين؛ توبةً لهم، وعفوًا لسيئاتهم، فيطير العبد إليه حرًا معترفًا بفقره بين يديه، ولا يعبأ إلا به، ولا يلوذ ويلجأ إلا بجنابه، طالبًا منه الغنى بعد افتقار، والورود بعد الظمأ، والعفو بعد الإساءة، والعطاء بعد المنع، ونور البصر والبصيرة، والطريق والطريقة بعد الظلمة، فهذه كلها يسيرة على الملك الجبار.

إنَّ تقوى الله تزرع بعض القيم في ثوب خصال كريمة، ومن بعض الخصال التي يظهر منها موقف الشاعر قبولًا، حيث يصف بها المرء المسلم المتمثل بنفسه، منها: **(عصيان النفس، مذلة الشيطان، العزة، الحرية، الكرامة، بلسم الحياة)**، ومقابل ذلك فهو يبغض خصالًا أخرى، منها: **(الهوى، سلطة الشيطان، الذل، والعبودية، المرض)**، وبعض الخصال يرفضها رفضًا صريحًا؛ لكونها خصائل نعت بها الشيطان، **(الذل، الغرور، التوتر)**، ومن هنا ندرك تلك التجليات رفيعة القدر التي أقبل على طلبها لنفسه وغيره.

فتقى الله فـــــــــي النوازل حِصنِي	**وسلاحي المشدد المأجـــــــور**
أقهر النفس فيه... فهو عزيـــــــز	**وأُذلُّ الشيطان وهـــــــو غرور**
وأعيش الحياة حــــــرًا كريمـــــــًا	**إنْ رماني بدائه موتـــــــور**
وأداوي الجراح حتى أراهـــــــــا	**بلسمًا، والشفاء قبل عسيـــــرُ**
كلمـــــــــا قلت قد وصلت! أراني	**أوَّل الدرب ما أزال أسيـــــــر**(1)

يُقدِّم الشاعر تقوى الله تعالى في روعته الشعرية؛ فصدَّر بها أبيات مقطوعته؛ لتكون مبتدأ والخبر حصنه، وسلاحه، ثمَّ يتحول شأنها من الجملة الاسمية إلى الفعلية؛ لإظهار حركته الدؤوب التي صوتها الأفعال **(أقهر، أذل، أعيش، أداوي)**، وهو يتقدم إلى الحياة بنَفَسٍ إيجابيٍّ. فإنَّ

1) مفلح، محمود، الأعمال الشعرية الكاملة، 74/1.

تقوى الله تعالى في نوازل الحاجات، وشدائد الأحوال حصنُه المنيع، وسلاحٌ لا يخطئ سهمه أو نيرانه في عدو الله الذي هو عدوٌ لكل مؤمن، والتقوى أول لازم من لوازم التحصين والمَنَعة، أذل بين يديه، وأفتقر لديه، وأحتاج إليه، وأضع نفسي في ركوعي لعظمته، وأضع رأسي في سجودي لعلاه، فهو عزيز جليل، وبفعلي ذلك بأمره قصمٌ للشيطان، وفضحٌ لإبليس، فأحصد بالتقوى ولوازم التحصين العيش الحرِّ الكريم، ولا آبه بمن يرميني رامٍ مريضٍ خائرٍ جبانٍ موتور وأنا على تلك الحال.

العبادات هي ملاذ المؤمن الصادق إلى ربه، والتقرب إليه، وهي زاده الذي يتزوّد منه؛ ليمضي في سبيله قويًا، وشهر الصيام **(رمضان)**، له نفحاتٌ لا تقاس بغيره، وأثره بالغٌ في الروح، وعميقُ العمق، فقد حاوره الشاعر؛ ليطلب منه إعادة مجد الأمة بالجهاد؛ لكونه يمنح المؤمن طاقة روحية كبرى، ويزيد في إقباله على ربه، يقولفي قصيدة **(اعتذار إلى الشهر المبارك)**:

إيه يا شهرنا العظيم شموخـــًا قد تنسمت من شميم الـــــوادي
ضُمَّنا.. ضُمَّنا إليك فإنـــــًّا لم نزل من بنيك والأحفـــــــاد
أطلق الروح مــن عقال التوَّابي ت، وزيّن أيامنا بالجهـــــــــاد([1])

تظلُّ الصورة الإيحائية أبعد تأثيرًا في النفس، وأكثر علوقًا في القلب من الصورة التقريرية الوصفية، وهي أبعث بالتالي على المتعة والإحساس بالجمال"([2])، ومع ذلك فأجمل الصور التي يحملها الشاعر الإسلامي تلك التي تأخذ الإنسان إلى هدف نبيل هو تعظيم الخالق وعبادته، وتسمو به إلى درجة الكمال، وذلك بغرس الشعور بالإنسانية والإسلام([3])، ولا يتأتى ذلك إلا بالعقيدة الصحيحة، والعبادات التي توافق الكتاب والسنة، والشاعر يتباهى في تلكم القصيدة بذكر الشهر العظيم الشامخ، طالبًا منه أن يحتويه بعدما يحوله إلى صورة حسية معنوية إيحائية تجود بالحنان؛ ليغمره في نفحاته الروحية، ويضمه إلى نسبه وجذره يوم ميلاده الذي حَفِل بالصحابة الكرام؛ ليكون امتدادًا لهم، حفيدًا من أحفادهم، وابنًا من أبناء عقيدتهم،

1) مفلح، محمود، الأعمال الشعرية الكاملة، 306/1.

2) نافع، عبد الفتاح، الصورة في شعر بشار بن برد، عمان، دار الفكر للنشر، 1983م، 83.

3) أحمد، رحمة، ويعقوب، عدلي، الإسلام والأدب الملايوي – تحليل للنقاشات في ماليزيا، كوالالمبور، الجامعة الإسلامية العالمية، 2008م، 391.

ووقف أمام الشهر الكريم طالبًا منه أن يطلق الروح من عقال الموت، ويبعثها من جديد، ثم يزيِّن أيامها بالجهاد؛ لتكون روحًا ملائكيةً مقبلةً، كما تصدر الجهادُ المشهدَ في بدر.

إنَّ دور المؤمن يستمر في العطاء لأخيه الإنسان كبيرًا وصغيرًا، رجلًا وامرأة، صديقًا وعدوًا، فيقدم الرسالة الدينية في ثوبها المناسب لكل إنسان، وهنا يتجلى شعور المؤمن إزاء فضائل الله عليه ومكرماته له بالاعتراف بتقصيره، وأنه مهما قدم فما زال في بداية دربه، وأول مشوار إيفاء حقّ ربه، ولا ينسى الشاعر أنَّ التقوى أشدُّ لزومًا عندما يبلغ المرء من العمر عتيًا، ففي قصيدته **(أيها الشيخ)**، يذكِّر الشاعر بثوب النصيحة أخاه الإنسان أن يدرك نفسه؛ فيتق الله بكرةِ وعشيًا، وأن يؤوب إلى الله بالتوبة، قبل فوات الأوان، **يقول:**

أيهــــــــا الشيخ قد تجاوزت حدًّا ... فاتق الله بكرةً وعشيــــــــــــــــا

إنَّ هذا المشيب يصرخ فــــــــي فؤادك ... أنَّ الرحيل بـــات دنيــــــــــــــا

والليالي التي أسأت إليهــــــــــا ... وتنكَّرت سوف تطويك طيّــــــــــا(1)

يستمر الشاعر السير في طريق الخير والبر؛ لكنه يدرك أنَّه لو قدم ليل نهار منهما ما أوفى اللهَ حقَّه، ولا قام بشكر نعمه، ولما استطاع أن يكافئ إحسانه وكرمه، ولو قام ليله، وصام دهره، وذكر الله ربه، فخيره لا ينتهي مدده، ولا تُحصى نعمه ولا تُعدُّمن البديهي أنَّ مخيلة المتلقي تتقبل الصور التي تعرض لها فتتمثلها، وتفترض إمكانية وجودها(2)، بعد أن تكون قد اقتنعت بها، وآمنت بحقيقتها، كما أنَّ الشاعر يبقى "طائرًا طليقًا يحلق في سماء الخيال، وينشد الحرية في فنه، فلا يسمح لقيود اللغة أن تلزمه حدًّا معينًا لا يتعداه؛ بل يلتمس التخلص من تلك القيود كلما سنحت له الفرص، فهو في أثناء نظمه لا يكاد يفكر في قيود التعابير إلا بقدر ما تخدم تلك التعابير أغراضه الفنية"(3)، وفي تلك المقطوعة يستدعى الشاعر غضبه الذي يعانق شفقته على أولئك التائهين العابثين الذين سرقهم الهوى من جادَّة الفطرة، وذواهم الشيطان عن دروب الخير، وتتابع نداؤه على الشيخ الذي تجاوز هيبة الحضور، فانشغل بملذاته، وتمادى في شهواته، أن يتقيَ الله صباح مساء، فيكفيه الشيب المنذر أن يحرك معاني الرحيل عن الدنيا في فؤاده، ويصرخ باقتراب الأجل من النهاية، ويضع الشاعر أمامه حقيقة لا تنكر، وهي أنَّ

1) مفلح، محمود، الأعمال الشعرية الكاملة، 110/1.

2) عصفور، جابر، الصورة الفنية، 61.

3) أنيس، إبراهيم، من أسرار اللغة، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط3، 1966م، 322.

الموت سيخطفه من ليالي مجونه، وأوقات سوئه، ويطويه إلى أن يحين وقت النشور. وقد جاءت عناصر الصورة المتحركة في سياق فعل الشرط؛ ليبرهن صلة بداية الطريق ونهايتها، فهو يعيش حالة من التوهم نتيجة انجذابه إلى المؤثرات الواقعة في سبيله، وهو يشق خطوه فيها، ولا تضعف قوة رِباط العبد بالله تعالى، إلا أنها تسمح له أن يكون خافق الجناح أمامه، في استكانة أمام عظمته، وضعفٍ أمام قوته، واحتياجٍ وفقرٍ على عتبة غناه سبحانه، وهذا يُحتم على العبد أن يطلب من مولاه العظيم القوي الغني العفو عن الزلل، والتجاوز عن التقصير، وطيّ سجل الخذلان والآثام، في إرادة منه ألا يعود إلى ذلك بعد أبدًا، **(ويزهو الجبين)**، ويعيش **(ميمونًا)**، كما في قصيدة **(اعتذار)**، **التي يقول فيها:**

عفوك الله، أين منه متـــاع الأرض؟ أين القصـــــــور؟ أين العيـــــــون؟

قطرةٌ مـــــــــــن حنانك الثَّرِ تطوي كلَّ آثامنا، ويزهو الجبيــــــــــن

ذرَّةٌ مـــــــن رضاك تجعل أشقى مـــــــــــن عليها وطيره ميمون[1]

نداء الله تعالى صاحب العفو والمغفرة بغرض الدعاء، وأسئلةأتت في ثوب العجز عن ديمومة نيل الأماني، فمن أماني المتاع على وجه الأرض إلى البحث عن القصور وما فيها من ملذات إلى عيون الأرض التي تتفجر ماءً زلالًا، ذلك كله في ميزان عدل الله **– تعالى** – لا يساوي شيئًا، ولا يعدل قطرة من فيض عفوه وحنانه الثَّرِ العظيم **– سبحانه** –وإنَّ ما حمله ضمير الخطاب **(الكاف)** يوحي بقرب المخاطَب للمخاطِب، فتلك القطرة كفيلة بطيّ الآثام كلها؛ بل كفيلة أن تنير الجبين وتزهره، وترفعه في زهوٍ وتيه. فيا لها من قيمة راقية تمتد من العفو، لتشمل العبد، وإنَّ ذرة رضا من الله **– تعالى** – عنه تحيل الشقي سعيدًا، ميمونًا، مسرورًا، لا قيمة عنده أعظم من قيمة القرب من الله، والالتجاء إليه، وطلب عفوه.

ولم يغفل الشاعر عن نداء الجماعة أن تنهل من معين العقيدة الإسلامية؛ لإدراكه أنَّ تآزر النفوس المؤمنة وتآخيها والتفافها حول عقيدة واحدة صورة السلوك القويم الذي رغب به الشاعر أن يكون لجماعة المسلمين، وذكر ما يجب أن يجتمعوا لأجله وهو الاشتغال بذكر الله في مواقف النزال، مصورًا تجمعهم بأنه ملاحم نصر، ونبض قواف، دوي نسور، ويؤكد تجمعهم هذا بأنه سبب القوة التي تكنس الأعداء، وتكتب مصيره، وهذا ما يتراءى في قصيدة **(الجهاد الكبير)**، **يقول:**

1) مفلح، محمود، الأعمال الشعرية الكاملة، 126/1.

إخوتي إخـــــــــــوة العقيدة شدُّوا وإذكروا الله في اللقاء المثيـــــــــر
إخوتي إخـــوة الجهاد الكبيـــــــــر يا نجومًا تشـــع في الديجـــــور
إخوتي يـــــــــــــا ملاحم النصر يا نبض القوافي ويا دوي النســـور
واطلبـــــــــــوا النصر بالسيوف فإنَّ النصر آتٍ مع الحسام الجســـور
أنتم القوة التي تكنس الليـــــــــل وأنتم مصير هذا المصيـــــــر([1])

التسلح بالعقيدة، وشدُّ الوثاق بالتنادي للجهاد، وذكر الله تعالى، وتجاوز الجهاد بالكلمة إلى الجهاد بالسيف، هو الذي يحقق النصر، فيأتي دون ذلة أو صغار. والمؤمنون كالعادة هم مصدر القوة، والتسلح بهم، والتمسك بزمامهم، أمارة من أمارات النصر، وإشارة من إشارات التحرير والتمكين، فهم نصراء في الحق، وأعوانٌ في الخير، وأتباعٌ في البرِّ، والشاعر يختار من الإخوان صنفًا فريدًا، ووصفًا جليلًا، يتمثل في الصف المجاهد.

المؤمنون نَصَحةٌ، والمنافقون غششة؛ لكون النصيحة صفةٌ من صفات الإيمان، وخصلة من خصال المحبين، لاسيما إذا كانت في اتباع فضائل الأعمال الكاملة، ومحاسن الخطاب، **وفي قصيدة (همسة)**، ينادي ويأمر ويسأل ويخبر الإنسان الغافل أن يترك غفلته، ويدرك أنَّ له نهاية وعاقبة، وأتى ذلك منه؛ لشعوره بواجب تقديم النصيحة، **فيقول:**

أيهـــــا السادر الذي نسي الله تمهَّل... فللزمان ختـــــــــام
كيف تنجو من قبضة الواحـد القهَّار والكون ملكهُ والأنـــــــــام([2])

نداء إلى الغافل الذي تَعْبُر لياليه وأيامه دون أن يؤوب أو يتوب أو يرجع لربه متناسيًا يوم الحساب أن يتمهَّل؛ للذكرى والتدبر فيما سيؤول إليه؛ لأنَّ الزمان مختومٌ له حدود، ويشرع الشاعر في تبيان العجب من نجاة الغافل من قبضة الواحد القهار، وهو يعلم بعقله، أو يدرك بحسه، أنَّ المالك للكون بما فيه من أنام وخلق إنما هو الله الذي إليه يرجعون، وبين يديه موقوفون.

ولم يغفل الشاعر ذكر أثر الدين الإسلامي في حياة المرأة المسلمة وسلوكها، فأبرز دوره في حياتها، وإرشاده لها، بما يصلح من شأنها، فهي تعدُّ مكونًا مهمًا ورائدًا من مكونات المجتمع؛

1) مفلح، محمود، الأعمال الشعرية الكاملة، 1/ 132.
2) مفلح، محمود، الأعمال الشعرية الكاملة، 1/ 77.

لكونها أمًّا وأختًا وزوجةً وابنةً، فهي ركنٌ أساسٌ في بناء الأسرة دينيًا، ففي قصيدة **(أيها الشيخ)**، يبدأ بعرض صورةٍ مشرقةٍ لها، **يقول:**

هنَّ رمز الكفاح في زمن الـــــــــذل فكافح تحت اللواء كميـــــــا
وحرامٌ على الفتاة حجـــــــــــابٌ مزقوا الحارس الأمين البهيـــــا
كم هزمنـــــــــــا في عهدهن عدوًا ودحرنا في عهدهن بغـــــــيا
عزة البنت أن تكون كما شـــــــاءوا وتأبى هدي السماء السَّنيـــــا
ركبت في قطـــــارهم وتولـــــــت والخفافيش تنهش اللحم نيـــًّا([1])

إنَّ السلوك الذي رغب الإسلام المرأة أن تتحلى به يتمثل في أن تلتزم بهيئة تحفظها من الفتن، وتدفع عنها المتربصين بها، فأمرها بلبس الحجاب خلاف ما أراد لها أعداؤها **(حرامٌ على الفتاة حجابٌ)**، وألا تكون سلعة للبيع والشراء **(بغيا)**، كما رغب أن تحفظ عفتها على خلاف ما رأوا أنَّه عزة لها – كما أشار في البيت الرابع – فالشاعر في مقطوعته يُهيج نوازع الشرف والكرامة التي حملتها المرأة التي تعيش في ظلال الإسلام بإباء وشموخ وفخار، مصرّحًا أنَّ الأنثى رمز الكفاح وعنوانه، في زمن الذلة والمهانة والانكسار المعنوي للهيبة العربية، والشخصية المسلمة. وإنَّ الاستمرار في الكفاح تحت لواء الشجعان أمرٌ يعود إليها بالرفعة دون أن تلبيَ لهم مطلبًا من نزع الحجاب، وتمزيقه؛ لكونه الحارس لها، والصائن لعرضها، والمسدل فتنتها التي تستفز النفوس وتجلب السفهاء، فلكم هزمت بصون شرفها ولبس جلبابها وحجابها والتزامها بدينها وعقيدتها العدوَّ المتربص بها، عدوَّ الدِّين الذي يحارب آيات الله تعالى، ولكم دحر المؤمنون السابقون بهيبتها البغاة والفساد، وقد أكَّد الشاعر حرص أعداء الدين بادعاء صون عزتها ورفعتها أنها تبلغ الشأن العظيم، وعليها أن ترفض هدي السماء ورسالتها السَّنية، وقدَّموا لها بطاقة دعوة منطوقةً أو مكتوبةً، مزينةً بالورود، تجذبها وتثير إحساسها؛ لتركب في قطار البغاة وتتولاهم؛ ولتكون ضحية خفافيش الظلام المتآمرين على شرفها وعفتها. وقد حشد الشاعر تراكيب تواشجت معًا فشكلت لوحة نازفة للمرأة المسلمة اليوم، وهي تركب في قطار الأوغاد في ظلامٍ دامسٍ تحوطها خفافيش تنهش عرضها وكرامتها.

1) مفلح، محمود، الأعمال الشعرية الكاملة، 111/1.

يـــــــــــــا أخت لا يغررك ما هتفوا له أو هللوا

كلُّ الفقاقيع التي لمعت هنـــــــــاك... سترحـــــل([1])

يؤكد الشاعر في ندائه على أخته في الإسلام نهيه لها عن الغرور بمن يهتفون لها زيفًا، أو يهللون بالباطل لأجلها، ويزعمون أنهم دعاة خير، وباحثون عن حقوقها، ومدافعون عنها، كاشفًا حقيقة دعواهم، أنَّها مجرد فقاقيع، لا فائدة منها، ولا خير فيها، سوى لمعانها الخاطف الذي سرعان ما يتلاشى وينتهي. ويخرج من عالم الفتاة المسلمة، إلى المرأة المسلمة المكافحة التي شهد التاريخ بعطائها منذ تاريخ الإسلام الأول، سواءً كان عطاء العلم، أم سقيا الجرحى في الحروب، وخدمتهم، والقيام على شأنهم، أو مناصرة الرجال، ودفعهم للإقدام والاستبسال، وغيرها مما كان لها فيه دورٌ لا يُنكر، ووجودٌ لا يُجهل، ويُجلِّي الشاعر أمامها حقيقة أعدائها في صورة استعار لها الفقاقيع الهوائية التي لا فائدة منها، وسرعان ما تتلاشى بعد لمعانها الخاطف، واستعار لها ركب المسافر الراحل عن ميدان العفة حيث لا قوة له على البقاء فيه،

الباب الثاني تجليات القيم الدينية في بعض شؤون الحياة

إنَّ رسالة الإسلام رسالة سامية، قد أثرت في نفوس الناس على اختلاف مشاربهم، وحملها العلماء والأدباء والشعراء فكانوا خير رسل لتبليغها، فإنَّ الشاعر حين يكتب فإنما يكتب انطلقًا من عقيدة معينة. هذه العقيدة هي التي تملي عليه الشكل والمضمون، هي التي توجهه لاختيار هذا الحل أو ذاك، وكذلك الشاعر الذي يرفض كل العقائد المستوردة؛ ليلتزم بعقيدة سماوية، هذه العقيدة ذات النظرة الشمولية هي التي توجه خطه الفني والموضوعي([2])، ومن هنا أبغض الشاعر محمود مفلح ممارسات أعداء الإسلام مع الإسلام، وظهر ذلك في نفسه التي تقززت منها، فصوَّر أولئك الأعداء بالنفايات التي ترحل عن الأماكن لتتركها نظيفة، كما عبَّر عن بغضه لطباعهم، وصورها طباع خنزير، واستخدم الألفاظ التي تكشف عن الأبعاد النفسية لديه، لاسيما المكررة، **منها: (آن أن)**، وأورد الأفعال المبنية للمجهول ازدراءً بفاعليها **(تخرس، تُلغى، يطوى)**، وذلك كله يثير في النفوس البغض والنفرة منهم، وفي المقابل هو يشيد بالأفعال المعلومة الفاعلين **(يزهر، يشدو)** مظهرًا راحة باله، وسرور حاله من تأثيرات العقيدة

1) مفلح، محمود، الأعمال الشعرية الكاملة، 75/1 – 76.

2) ابن جلون، العربي، جدال وسجال، مطبعة المعارف، الرباط، ط1، (198م، 64.

الإسلامية على المسلمين، كما في قصيدة **(الجهاد الكبير)**، التي جعلت العقيدة مرتكز الجهاد وتحرير الإنسان والأرض من الرجز والفساد، **يقول:**

آن أن ترحـــــل النفايات عن أرضي وتلغى طبائــــــــــــع الخنزيـــــر
آن أن تخرس الطبـــــــول ويطوى علم الزيف والكيـــــان الأجيــــــــــــر
آن أن يزهـــــــــر النخيل ويشدو في الفضاء الرحيب ســـــــرب طيـــوري
إنَّهــــــا جولة العقيـــدة في الأرض وهذي مواســـــــم التحريــــــــــر
إخوتي إخــــوة العقيـــــــــدة إنَّ النصر آتٍ على الجنـــاح القديـــر([1])

إنَّ الشعر الذي ينبثق من الأدب الإسلامي ينبع من القرآن والحديث في القضايا الأساسية كالألوهية والنبوة والرسل والملائكة والكتب السماوية واليوم الآخر... والإنسان ودوره في الحياة، وعلاقته بغيره وخالقه، وبالكون بأسره([2])، ومن هنا يستمر الشاعر في تقديم الصورة المكتملة الأركان عن ذلك التصور حين يعتمد المفارقة التصويرية في محاولة لإثبات أنَّ عقيدة التوحيد هي سيدة العقائد، مبينًا كيف هوت العقائد كلها إلا هي فسادت في الميادين، وبقيت رايتها معقودة؛ لتحرير الإنسان من الاستعباد، ومما اقترفت يداه من فسادٍ وظلمٍ، وفي تلك المفارقة يعرض مجموعة من الاستعارات التي صور فيها التحرير بالزرع الذي ينبت في مواسم خاصة، واستبشر في صورة أخرى بيَّن فيها العقائد غير الإسلامية وهي تنسل راحلة من المشهد العملاق في خيبة، وصورة الطبول التي جسدها بإنسان يصاب بالخرس، والعلم الذي وضعه في صورة العملة المزيفة التي لا تساوي شيئًا، وشبه النخيل بالأزهار التي تترع بالزهر، والنصر بطائر يرنو في الفضاء، وفي المقطوعة تردد الزمان الآنيُّ ثلاث مرَّاتٍ؛ ليؤكد عمق الأثر العقدي الذي يحلُّ في نفسه، وبسبب حضورها ترحل المفاسد والشرور عن الأرض المقدسة، وتذهب طبائع الخنزير المنعوتة بالرجس في القرآن المجيد، وفي الآن نفسه تخرس أصوات الباطل، وتُطوى رايات الكذب والزور التي يدَّعي أصحابها أنهم أصحاب الحق زورًا وبهتانًا، وما هم إلا حفنة من الأجراء، وشرذمة متفرقون، وآن أنْ يُزهر النخيل العملاق، وتشدوا طيور الحرية أسرابًا. فالعقيدة هي الراية التي يجتمع حولها الأخوة؛ تحقيقًا للنصر الآتي من الرَّبِّ القدير.

1) مفلح، محمود، الأعمال الشعرية الكاملة، 132/1 – 133.
2) أبو خضيري، عارف كرخي، العالمية: نحو نظرية الأدب الإسلامي، 67.

إنَّ دور العبادة تمثل بؤرة مكانية ذات أهمية كبرى في حياة المسلمين، وإنَّ من أجلِّ الأماكن وفي مقدمتها بيت المقدس أولى القبلتين، وثالث الحرمين؛ لذا لم يغفل الشاعر عن ذكرها؛ بل أفسح لها مساحات شاسعة في قصائده، وقد خرج عن مألوف الكثير من الشعراء في نظرته للمدينة المقدسة، فقد خالف ما ذكره**(إحسان عباس)**من أنَّ الشاعر حين يحس بتضايقه من المدينة، ويتحدث عن الغربة والقلق والضياع إنما يحاكي **– مجرد محاكاة –** شعراء الغرب حين يضيقون ذرعًا بتعقيدات الحضارة الحديثة، وبالمدينة الكبيرة ممثلة لها"([1])، وتبدو الحقيقة عكس ذلك تجاه القدس مدينة المجد والسلام، ومكان القداسة والقبلة الأولى، فهي عمود وطن الفلسطيني وأساسه، ولها في الإسلام شأنٌ لا يضارع، وحبٌّ لا ينقطع، وذكرٌ لا يُنسى؛ لذا قدَّم الفلسطيني من أجلها وما زال يُقدِّم الغالي والنفيس؛ دفاعًا عنها، وصونًا لها من الرجس والأوثان، وإكرامًا لمنزلتها من أن تُنتهك حرمتها، ومع تلك الرسالة التي تتطلب سلوكًا إيجابيًا اجتماعيًا عامًا تتسلح به المجتمعات الإسلامية، فهو يحبب إلى النفوس الدفاع عن المقدسات بالشعر والكلام، والسيوف والإقدام، ويرفض خصالًا أخرى يراها قبيحة، ينفِّر النفوس منها، **(شرب الخمر، وذهاب العقل، والهزَّ في المراقص، وانتهاج الجدل والمنطق المأفوف)**، وهذا ما أظهره في قصيدة **(أبو الأعلى المودودي)، يقول الشاعر في شأنها:**

خجل الشعر من قيودك يا قدس وأمست صواعق الشعر طينا
لم تزلزل قذائف الشعر ركنًا لعدوٍّ، ولم تدك حصونا
لا يهزُّ الظلام في القدس إلا مَن أظلَّت سيوفهم حطِّينا
فارسٌ من فوارس الله يرعى حرمة الله والكتاب المبينا
ليس مسخًا يعانق الكأس والطاس ويهتزُّ في المراقص طينا
ويقاضي بشرعة الله نهجًا جدليًا ومنطقًا مأفونا([2])

القصيدة الجميلة هي تلك التي اتحدت العناصر جميعها فيها من ألفاظ وفكر وموسيقى واستعارات ووزن وغير ذلك؛ لخدمة الصورة الكلية فيها، بمعنى أنَّ الصور الجزئية تسير متآزرة

1) عباس، إحسان، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، عمان، غزة، دار الشروق، ط3، 2001م، 89.
2) مفلح، محمود، الأعمال الشعرية الكاملة، 130/1.

معًا؛ لخدمة الغرض الكلي، مما يزيد الحيوية والقابلية والانتباه([1])، وفي صورة استعارية يكاشف الشعرُ الشاعرَ عن خجله من انكسار القدس، وما عادت كلماته تعبِّر أو تستطيع أن تَجْرعَ وصف حقيقة مآسي القدس الحالَّة بها. فالشعر لم يؤثر في العدوِّ ولو كان في هيئة قصفٍ أو زلزلة، أو دكٍّ لحصونه، فلم تعد الكلمات والقصائد تُرجع الحق المسلوب، ولا تعيد المجد التليد، ولا تنير الظلام الحالك، ما يفعل ذلك هو ممتشق السيف، كما فعل أصحاب حطين، فالفارس الحق هو الذي يرعى حرمة الدِّين الذي هو كلمة الله تعالى، والكتاب المبين الذي أنزله إلى الناس فرقانًا، فالذي تمتد يده إلى ما يخرم الدين والمروءة من معاقرة النساء، وريادة المراقص، وانتشاء الخمر، واختلاق الفتن، والتسلح بالجدل العقيم، ومنطق الهوى؛ وصولًا إلى المبتغى ليس أهلًا للتحرير، وهو أعجز في الذود عن القدس، ويمتطي الشاعر صهوة الشعر؛ منافحًا ومدافعًا به عن القدس، وصادًا ورادًّا لكل منافق يُخفي في نفسه ما لا يظهر تجاهها، **و**إنَّ من "خصائص الخيال الشعري الأصيل أنَّه يحطم سور مدركاتنا العرفية، ويجعلنا نجفل لائذين بحالة من الوعي بالواقع، تجعلنا نشعر كما لوكان كلُّ شيء يبدأ من جديد، وكما لو كان كلُّ شيء يكتسب معنى فريدًا في جدته وأصالته"([2])، وفي صورة خيالية يصور لنا الشاعر الحرف الساكت الصامت الساقط بحرف النفاق، الذي لا يصدح بالدعوة إلى الطهر والإيمان، بينما الحرف المنير الذي يستحق أن يكون سلاحًا هو ذلك الحرف الذي يلتحف بالحق، لا ذلك الممتلئ بالبهتان، وإنَّ أفضله الذي يطاول المجد، ويدافع عن الحق، ويعانق أهله، ويتزيَّن بذكر صفاتهم، وعدا ذلك يبقى الشعر لغوًا لا سيما إنْ لم يبِن عن إنسانية الإنسان، ولم يدافع عن حقه، فعندئذ سيبقى بلا شرف؛ لكون شرفه أن يكون الحرف شجاعًا، يتكلم بفصاحة وبيان لصالح أصحاب الحق، يجابه الشرَّ عنهم، ويذبُّ عن حياضهم، ويدافع عن حالهم، ويذيع في الآفاق أوصافهم وصفاتهم.

ليس للمخلوق قوةٌ ولا إرادةٌ إلا وهي موهوبةٌ له من الله **– سبحانه –** فهو الذي يمنح القوة ويسلبها، ويعطي الإرادة ويأخذها، ومن ثقة عباده المؤمنين به أنهم يؤمنون بقدرته المطلقة، التي لا حدود لها، فقد يوجِّهُ الله أمرًا ليسير على خلاف ما تصوَّرت المخلوقات، وقد يحرك ما

1) كولردج، النظرية الرومانتيكية – سيرة ذاتية، ترجمة: عبد الحكيم حسان، مصر، دار المعارف، 1971م، 294.

2) عصفور، جابر، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، بيروت، المركز الثقافي العربي، 1992م، 38.

لا يعتقد الناس إلا سكونه، ويُسكن ما يعتقد الناس حركته، **وفي قصيدة (الأيدي الآثمة)، يقول:**

أيها الوجه المغامر
يا سليل الحقد يا رمز المجازر
إنَّ ربَّ النَّاس قادر
أنْ يُري (فرعون) يومًا أغبر الوجه
ويجتثَّ الجنودا
ويعيد الأمن والسلام والحب
أنْ يُحيل الشوك في أرض الملايين ورودا([1])

إنَّ "الشاعر الحديث أكثر توسعًا واستخدامًا للصور، واعتمادًا على المجاز والاستعارة، ويشيع في صوره نوعٌ من الإبهام والغموض، كما إنه لا يعتمد على دلالات الألفاظ مباشرة كالشاعر القديم"([2])، وهذا ما اتصفت به قصائد الشاعر، فقد ابتدأ في الأبيات السابقة بتصوير العدو في ثوبٍ استعاري يطل بوجهه المغامر العابث حيث يطالعنا الشاعر بتقانة الاسترجاع إحدى تقانات الزمن يسترجع عبر ذاكرته أولئك الذين قضوا من أصحاب الرايات السوداء والعقائد الفاسدة، يستدعيهم إلى حاضر المسلمين اليوم، ومع ذلك هو يستشرف لهم مستقبلًا يكون كفيلًا بالقضاء على أمثالهم من الطغمة، فيجدوا مصرعهم من جديد في مشهد دامٍ، وإن كان الشاعر في بداية القصيدة قد نفض يديه من الواقع الذي خذله، ولم يعد يثق به، ولا بمن يمسك زمامه من الحكام والناس؛ محاولًا تغيير الشر، وإبدال الظلم، ووأد الفتن، موقنًا أنَّ تحقق ذلك إنما بالعودة إلى ربّه؛ إيمانًا منه أنَّه مصدر القوة، ومانحها، وموجهها، وإدراكًا منه أنَّ الله تعالى لا يعجزه حقد حاقد، ولا سفك سفَّاك، ولا بطش باطش، فهو يهلكه كما أهلك المتجبرين في الأرض من قبل، فقدرته تخلق من الشيء ضده. فالشوك يخرج منه الورد، وفرعون الطاغية قاتل الأطفال ألقى الله تعالى إليه موسى – **عليه السلام** – خصمه؛ لينبت تحت عينه، فأهلكه وأتباعه، واجتث جنوده؛ ليعيد للأرض والوطن الأمن والسلام والحب بقدرته عودًا حميدًا دون أن يعيق أمره عائق، أو يعجز إرادته شيء، وتتجلى هنا قيمة الإيمان بالقدرة الإلهية في إزهاق الباطل مهما كانت

1) مفلح، محمود، الأعمال الشعرية الكاملة، 379/1 – 380.
2) ناصف، مصطفى، الصورة الأدبية، مكتبة مصر، 1958م، 161.

قوته وجبروته، وبلغت عنتريته وصلفه وغروره، فيستحضر شخصية فرعون؛ ليقرر حقيقة أن الباطل هو هو يعاود بأثوابه وأشكاله ووجوهه في كل وقت، ثم لا يلبث حتى يستعلي عليه الحق، وهذا ما انتهى الشاعر إليه.

إني على ظمأ أحبائـــــي فحوض الخلـــــد... قربـــــــــــي ([1])

وتصبح حي على الفـــــــــلاح... على الجهاد... فمن يلبـــي؟([2])

يعدُّ الأذان وكذا الصلاة شعيرتان من شعائر الإيمان بالله. فالأذان الذي يبدأ بالتكبير **(الله أكبر)** مقدمة لاجتماع المسلمين وأداء الصلاة، وهو ذات النداء الذي يكون في مقدمة النزال، وفي أثنائه؛ ليشدَّ عزائم المسلمين المقاتلين، وهنا يطلب الشاعر من أخيه أن يردد **(الله ربي)**؛ لينزع عنه لباس الخوف والقلق، ثم يدعوه إلى الجهاد **(حي على الفلاح)**، ويتفاعل ضمير المخاطِب **(الياء)** مع التضحية؛ للفوز بحوض الخلد، حوض النبوة، الذي يتربع وسط الجنة، والشاعر منه دانٍ قريب، ولا زال يردد أمر القول المصحوب بمعية الله تعالى، مرحبًا بالريح التي تهبُّ من الجنوب **(فلسطين)** حينما كان يقيم الشاعر بمصر، إنَّها ريح التغيير، وريح العير، تهزُّ قلبه، وتنفض عنه غبار القعود، وتثيره بنداء الجهاد **(حيَّ على الفلاح)**، مخاطبًا الأمة بسؤال يتيم، فمن يُلبي؟ ليسمح للمسلم في أمصار الأرض وأصقاعها الإجابة عنه. وإنَّ أوَّل أركان الإسلام نطق الشهادتين، مع التصديق بمعناها، والتكبير والتهليل لله تحمل بعض تلك المعنى، وتغرس في النفوس قيمًا عظيمة تسهم في تشجيع النفس وتحميسها وإثارته، كما تسهم في تغيير الإنسان الفرد وتغيير الجماعة، ولها القدرة على تغيير نظم الحياة، وترتيبها، وأنماطها، والشاعر هنا يكشف عن بعض قيمها، منها: استحضار الأمل بولادة جيل كجيل **(الصحابة)** كما فيقصيدة **(عشَّاق الفجر)**، **التي يقول فيها:**

لا تظنوا (الله أكبر) قد شاخـــت وشـــــاخت مواقف (الأنصار)

وخيـــــول اليرموك تصهل خلف الباب، وثابة على الأســـوار([3])

قد انتقلت لغة الشاعر من المباشرة إلى الفنية فقد جعل في "الخطوة الأولى صرفًا عن الاهتمام بالإلقاء أو الحرص عليه باتجاه تأسيس النص المختلف، وتأكيد المنحى الكتابي للشاعر

1) مفلح، محمود، الأعمال الشعرية الكاملة، 93/1.

2) مفلح، محمود، الأعمال الشعرية الكاملة، 94/1.

3) مفلح، محمود، الأعمال الشعرية الكاملة، 71/1.

الحديث، الذي بدا غير معنيٍّ بشكلٍ ما بقضيةٍ تلقي الجمهور لشعره تلقيًا انفعاليًا([1])، فبدا يُصوِّرمن تلقاء إحساسه عتمة الواقع، وانسداد آفاق تغييره، فأصدر نهيه بصفته العليا، وبكونه الواعظ المرشد، والعالِم بقيمة الكلمة ذات الأثر العظيم، المتبصر بما تمنحه صورة **(الله أكبر)**، ومواقف الأنصار، وخيول المعارك المنتصرة للواقع من قوة الحضور رغم بعد مسافة الحدث، فهي صور تتحرك بهيئتها الاستعارية المجسدة لنفي حملها لشخصية الشيخوخة، وتعديها حدود زمانها ومكانها التي قيلت فيهما، بعدم الظنَّ بأن تلكم الكلمة اختفت وتلاشت معها آثارها ومعالمها؛ بل إنَّ الأجيال اليوم تتسلح بها، وتتزود بنفحاتها، وتصدح حناجرها بها، ما زالت حيةً، قائمةً. والنهي عنده ليس متوقفًا عند الكلمة فحسب؛ بل عاد يستدعي تاريخ الإسلام الأول، الذي لم يكن بما كان إلا بهذه الكلمة يوم أنْ كان المؤمنون يعلمون معناها وقيمتها ونتائجها وآثارها، وأكد الشاعر تلك العودة الفاخرة بنهيه عن الظن بكهولة وشيخوخة زمن الأنصار من الرعيل الأول الذي ناصر الحق، ووقف معه، وسنده، حتى استقام عموده، وذاع صيته. وترديد جملة **(شاخت)** الماضوية المسبوقة بنهي وقوعها توحي بأنَّ من تداعى إنما تداعى على الدعوة الحق التي حملها الصحابة الكرام –**رضي الله عنهم** – قصد التجريح بها، وتعمد إظهار ضعفها، وأنها ما عادت تقوى على النهوض والرجوع إلى ما كانت عليه. وما دام وجودها قائمًا لا يُنكر، فمظاهر وجوده تتراءى للشاعر، فتلك خيول اليرموك تصهل؛ استعدادًا لمرحلة جديدة، فهي خلف الباب، في انتظار إشارة الدهم والوثوب على الغاصبين المدعين انتسابهم للحق زورًا وبهتانًا، ويشرع في استعراض قيمة أخرى من قيم ذكر الله أكبر، تتمثل في إحياء صورة الإسلام المشرق، واسترجاع مجده، يوم أن كان السابقون يصدحون بها في حرابهم، فتتزلزل الأرض تحت أقدام أعدائهم، وتتجلى هذه المعاني.

ما أجمل ألا يغترَّ المرء بالدنيا التي يسكنها، يدرك أنه راحلٌ عنها، مفارقٌ لها، لا يأخذ معه عند تركها إلا عمله، لا حسب، ونسب، ولا مال، ولا جاه، كل ذلك ليس له، سيتركه، ثم يمضي إلى ربِّه؛ ليحاسبه، يقول:

ليس غير الإسلام ينجيك من غـــــمٍّ فبوركت أيهـــــــــــا الإسلام([2])

1) ستار، عبد الله، إشكالية التلقي في جدل الحداثة الشعرية، 2

2) مفلح، محمود، الأعمال الشعرية الكاملة، 78/1.

بناءٌ لغويٌّ يرشد النفس إلى النجاة من الغموم عبر الإسلام، يدعو الشاعر إلى التفطن بأنَّ الغم لا يزول، والنفس لا تهدأ إلا بالإسلام، وتلك حقيقة مباركة، ونعم الإسلام الذي ترك مساحة النجاة من ذلك لعبدٍ أطلت عليه الهموم، فكان الخلاص به.

لا تخلو حياة الإنسان من الكدرات، ولا تسلم من العقبات والمعيقات والهموم والمشكلات؛ لذا كان نداء الدين في حال عجز الإنسان عن المواجهة أن يصبر حتى يتحقق الفرج، فتذهب الكدرات، وتندمل العقبات، وتزال المعيقات، وتتلاشى الهموم والمشكلات، وهذا ما أكده الشاعرفي قصيدته التي بعنوان **(نشيد للقدس)، فيقول:**

صبرًا على ليـــــــــــــل الطغاة فإنَّ بعد العسر يســـــــــــــــرا

صبرًا فإني أسمع التهليـــــــــــل عند البيـــــــــــــــــت زأرا

وأرى جباه المؤمنيـــــــــــــــن تطاول (الجوزاء) فخـــــــــــــرا

فالخيل معقود بهـــــــا النصر.. الذي يجتاح كفـــــــــــــرا(1)

يتجلى الصبر طلبًا أمام عيون الشاعر على موطن التخلص من الضعف، وبدء الاستعداد والإعداد؛ لمواجهة ظلمة الطغاة، وعقبى الصبر – **حتمًا** – ما هي إلا انفراج الكربة، وتبديل الضعف قوَّة، والعسر يسرا، ويتردد نائب المفعول المطلق ذو الفعل المحذوف مؤكدًا تأكيدًا مضعَّفًا **بـ(إنِّي)** سماع التهليل الذي يملأ أرجاء البيت بصوت الزائرين صوت الأسود، ويمتد بصر الشاعر ليرى جباه الساجدين المؤمنين متعملقةً في الجوزاء، متباهيَةً إلى عنان السماء، مفتخرةً بما ترى، وهؤلاء هم المجاهدون الثائرون، ممَن تنعقد لهم الخيل بنواصيها المنصورة التي تجتاح الكفر، وتتمرد عليه، وتغلبه عن قوسٍ لا يلتوي.

للتفاؤل في النَّفس حظٌّ من القبول، ونصيبٌ من الارتياح، وهو مقدمة السعادة وتهيئتُها، ومطلبٌ أساسيٌّ من مطالبها، وبِدَارُ الشاعر في تغذية النفوس بها رسَّخ الطمأنينة، وأكَّد سلامة الخطو والمسير، وعلى شكل تساؤلات يثير الشاعر جملة من التصورات التي يأمل اقتراب وقوعها رغم وجود عوائق في نفسه تستدعي استبعادها، **ففي قصيدة (تساؤلات)، يقول:**

أصحيحٌ ما قيل يــــــا بلد الطهر بـــــــــــأنَّ السلام صار قريبا

أصحيحٌ أنَّ المـــــــآذن أضحت حُرَّة تطلق النداء الحبيبـــــــــا

وبــــــأنَّ الصديق يلقى صديقًا وبأنَّ القريب يلقى قريبـــــــــا

1) مفلح، محمود، الأعمال الشعرية الكاملة، 93/1.

والمصلون ينعمون لدى الأقصى... عيونًا قريرةً وقلوبـــــــــــــــــا
وبـــــــــــأنَّ الزيتون صار طليقًا في الروابي يفوح مسكًا وطيبـــــا
والظلام الذي أناخ علينـــــــــــا قد رماه (الهمام) سهمًا مصيبـــا
أصحيحٌ يـــــــــا قدس أن بَنِيكِ الآن عادوا يسابقون الدروبـــــا
وبانَّ الليمون نحوهــــــــم يسعى حبيبًا يضمُّ شعبًا حبيبـــــــــــا
إنني أرسل الكـــــــــــلام وأدري أنَّ فيمــا أقول شكًا مريبـــــــا(1)

صورتان تفترقان في الملامح، صورة الماضي الذي استدعاه من مكانه، حيث أوهم نفسه أنَّه واقعٌ وحالٌ، ثم يعترف أنَّه ساق هذا الكلام وهو شاكٌّ مريب، وبدأ الشاعر يتساءل كثيرًا في مقطوعته عن حال المسلمين وواقعهم، فيسلِّي نفسه بالأمل؛ فيصوِّره كما هو في الحقيقة التي ينبغي أن تكون في الواقع، كما يُسلي نفسه متفائلًا بما تصوره حاصلًا، وهو ذو علم ودراية بأنَّ الواقع يخالف تفاؤله، وأمله، ويساوره الشك والريبة من استقامة الدين والدنيا والحاكم والمحكوم، وإعمال الحق والعدالة، وإذا به يعترف في البيت الأخير أنَّ ثمة فجوةً بين ما يأمل به والواقع، راجعًا إلى الوهم الذي يسيطر عليه من أنَّ صدر الإسلام الأول، وعهد تمكين الدين لم يعد قائمًا، فلا يشتم له رائحة، ولا يذوق له طعمًا، مفترِضًا لو كانت الزعامة للإسلام الحق؛ لتغير العالم، وتبدل الحال إلى ما هو أصلح للإنسان، ويعترف الشاعر في النهاية أنَّ الإجابات المتفائلة بعودة الإسلام والدين والتمكين هي مجرد توقعات وأوهام، مشكوك في صحتها، يصيبه الريب من وقوعها، وبذلك هو يعكس الحالة الشعورية التي تصيب معظم مسلمي العالم.

الحق في كلِّ ميدان سواءً أكان دينيًا أم كان وطنيًا، أم اجتماعيًا، أو غير ذلك هو ضرورةٌ ولازمة من لوازم الهُوية والوجود، لذا عند اغتصاب الحق تثور النفوس، وينتفض الوجدان، وتتحرك البنادق، وتقدم التضحيات من الغالي والنفيس، من دماءٍ، وأموالٍ، وأوقاتٍ، وجهودٍ، ولا حدَّ من التضحيات لصاحب الحق كي يُرجع حقه، وهذا ما يحاول الشاعر إبانته في **قصيدة (حلم)، التي يقول فيها:**

وابتدأنا مـــــــــن الخنادق والليل وكان السفين والإبحـــــــــــــــــار
وانطلقنا وفي الدماء حنيـــــــــنٌ ويقينٌ وقوةٌ وانتصـــــــــــــــــار
وشربنا من الشقاء كؤوســـــــــــا مترعـــــاتٍ، وصفق التاتــــــــــار

1) مفلح، محمود، الأعمال الشعرية الكاملة، 108/1.

غير أنَّا من الصخور نبتنـــــــا ومن الشــوك تولد الأزهـــــــــار
وعرفنا عقم النجوم وشـــــاخت في مآقي المعذَّبين الـــــــــدَّار([1])

قد اكتنز الشاعر أسلوبًا رشيقًا وعميقًا في قصائده، وبذلك ينضم إلى الإسلاميين من العرب الذين هم أعلى طبقة في البلاغة وأذواقها من كلام غيرهم، والسبب أنهم سمعوا لطبقة عالية من الكلام في القرآن والحديث اللذين عجز البشر أن يأتون بمثلهما، فنهضت طباعهم، وارتقت مكانتهم في البلاغة على ملكات غيرهمن فكان كلامهم أحسن ديباجة، وأصفى رونقًا، وأرصف مبنىً، وأعدل تثقيفًا بما استفادوه من الكلام العالي([2])، وإنَّ الشحنات التي صدرت من الشاعر في كلمات شعره وصوره تنعكس أثرًا في نفوس المتلقين، وتبقى الصورة معتمة مع غياب العاطفة، فإنَّ العاطفة بدون صورة عمياء، والصورة بدون عاطفة فارغة؛ لذا يبدع الشاعر في استغلال الصورة المشحونة بالعاطفة([3])؛ لتصوير بداية انطلاقه مع الثوار عن حبٍّ وانتماء صادق مصابر، فيصور حركة الخروج أي خروج الثائرين من الجراح النازفة، والتضحيات الجسام، وقد هبُّوا من الخنادق، وعتمة الليل، فأمخرت سفينتهم إبحارًا، وانطلقوا مجتمعين، وفي دماهم يجري حنينٌ إلى الوطن، ويقينٌ بعودة المسلوب، وقوَّةٌ لا تلين حتى يرجع، وانتصارٌ حتميٌّ على الباطل، وعلى هذا الدرب شربوا الشقاء من كؤوس مترعة، وصفق لهذا المشهد التتار نفاقًا، ولم تنته سلسلة مجدنا، فاستمر نبت ملحمتنا يخرج من الصخور الصماء، والأزهار تشمخ من بين الأشواك، رغم معرفتنا أنَّ النجوم عجزت عن ميلاد الحقيقة، وشاخت الديار والأوطان في مآقي المشردين المعذبين الذي استعذبوا النصر، فلم يجدوه.

دمنـــا والرصـــاصُ والصخرُ والكبوةُ والصبـــــرُ والأذى والدمـــــار
وصرخنـــــا ملء البراكين حتى أورقت في دروبنا الأحجـــــــــــــار
وأضأنا من الرماد وإنَّـــــــا في ليالي شتائهم أقمـــــــــــــار
قدرٌ أن نظل في ساحـــة الموت وهذا المصير والجـــــــــــــزار([4])

1) مفلح، محمود، الأعمال الشعرية الكاملة، 118/1.
2) سنه، ناصر أحمد، (مقال) في الأدب الإسلامي – خصائصه ووظائفه وجمالياته.
3) كروتشه، بندتو، المجمل في فلسفة الفن، ترجمة: سامي الدروبي، القاهرة، دار الفكر العربي، 1947م، 55.
4) مفلح، محمود، الأعمال الشعرية الكاملة، 118/1.

إنَّ الإسلام حارب الفساد والانحراف، ولم يعامل ما سواهما معاملة النفي والشطب؛ بل إنَّ نظرة الإسلام إلى مثله كانت كنظرته إلى الناس، فيهم خيار وأشرار[1]، حيث قال: ((الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا))([2])، يستمرُّ النضال، وتظلُّ التضحيات في قائمة المصروفات، دماءٌ تسيل وتنزف، ورصاصٌ يُدوِّي، وصخرٌ يتبركن، وكبوةٌ جموح، وصبرٌ يتوج المواقف والأحداث من الأذى وعظيم المُصاب، ودمارٌ يتفشَّى في البشر والشجر والحجر، وما زال الصراخ يفلق الحناجر، ويملأ الأركان والبراكين صداه، ومن شدة وقعه أورقت الأحجار في دروب السالكين المضحِّين، والتمسك بالعقيدة أضاء السبيل، ويؤكد الشاعر كينونته ومن معه أقمارًا تهدي الماضين في الطريق؛ ومع ذلك ينفذ حكم القدر أن نبقى في صراعٍ لا ينقطع، ومصيرٍ علقمٍ مرٍّ يشتبك فيه حقنا ضد باطلهم.

إنَّ مجابهة الباطل مطلبٌ ذاتيٌّ وجماعيٌّ ودينيٌّ ووطنيٌّ، ومهما استعلى فهو ضعيفٌ، وعلى حجم استعلائه يتجلى الصمود، صمود في وجه هباتِ الباطل وريحِه، وإنَّ أعظم مراتب الصمود ذلك الذي يتوق صاحبه إلى الأمل، ويبقى في تصاعدٍ ودون تراجع حتى يبلغ الغاية، **ففي قصيدة (ديباجة)، يقول الشاعر:**

لم أغيِّر لــــــــــــــــون عينيَّ ولا صوت جـــــــــــــــوادي
لم أغيِّر سيفــــــــــــــي المقدود من لحم بـــــــــــــــلادي
لم أغيِّر نبــــــــــــــض أشعاري، ولا خفق فـــــــــــــؤادي
إنَّ كفي لـــــــــــــــم تفارق منذ عشرين زنـــــــــــــادي([3])

يردِّد الشاعر نفي تغييره للون عينيه، وصوت جواده، وبقاء سيفه، ومعاني قصائده، ويؤكد ثباته على ما كان عليه منذ العشرين من عمره، فلم يغيِّر مواقفه، ولا زناده، ولا خفق فؤاده، وظلَّ شعره ينبض بجهاد الكلمة، وأنَّ صوته سيبقى كما كان، وفي ذلك إشارة إلى تمسكه بمبادئه، وثباته على مواقفه، ذلك كله يتواءم مع الموسيقى والإيقاع داخل القصيدة، الذي هو

---

1) الندوي، محمد الرابع الحسني، الأدب الإسلامي وصلته بالحياة – مع نماذج من صدر الإسلام، مؤسسة الرسالة، ط1، 1985م، 25.

2) صحيح مسلم.

3) مفلح، محمود، الأعمال الشعرية الكاملة، 181/1.

أخصُّ خصائص النص الشعري، وبه يتميز "وتسير خطوطه، وتتقدم نحو اكتمال رسم الشريط القادر على تجسيد إحساسات الشاعر"([1]).

وكبرنـــــــــــــا واستحال الدمع في العينين نـــــــــــــــارا

وعرفنـــــــــــــا نكهة الرفض وحاصرنا الحصـــــــــــــــارا([2])

رغم ضمير الجمع الفعلي **(كبرنا)** لم نغيِّر ولم نبدِّل؛ بل ازددنا ثباتًا تلو ثبات، وتحولت دموعنا براكين ونارًا، وبضمير الجمع الفعلي **(عرفنا)** لم تغب عن إحساسنا نكهة الرفض لكل ما هو جائرٌ ظالمٌ، فثبتنا؛ بل تقدمنا وتجرَّأنا على محاصرة الحصار.

وخطونـــــــــــــا الخطوة الأولى وحطَّمنا الجـــــــــــــدارا

فـــــــــــــإذا بالأرض تخضر يمينًا ويســـــــــــــارا([3])

ومن الخطوة الأولى بثباتنا على الحق، وبتحطيمنا للجدار، فإذا بالأرض تزهو بالخضرة، وتلوح مرحبةً بنا ذات اليمين وذات الشمال.

وإذا بالزَّعتـــــــــــــر البريِّ قد فاح عـــــــــــــــرارا

وامتلأنـــــــــــــا عزَّة أعلى من الشمس مكانـــــــــــــا([4])

قد صارت القصيدة الحديثة بعيدة عن الشعر المجرد؛ فهي ليست شعرًا، وينبغي أن تضم إلى جانب الشعر الأساطير والتاريخ والقصص والمعرفة وغيرها، شريطة أن تكون هذه متجاوبة مع الشعر"([5]). فالزَّعتر البريُّ فاح عطرًا بخطوتنا، ولم نكتف بالثبات على ما نحن عليه؛ بل تقدمنا عبر الزمن ومشينا، ولحق التاريخ بنا، فاصطحبنا، ومشى معنا خطوه في إثر خطونا، وتعانقنا معانقة الواثقين الراضين بما نحن عليه– **جميعًا** – على التضحية والفداء جرَّاء الثبات على الطريق والإقدام فيه، وامتلائه بالرصاص والجراح والدخان، فكانت العاقبة عزةً علت الرؤوس حتى ضارعت الشمس في مكانها. **وفي قصيدة (أحدٌ أحد)**، تتضح تلك المعاني، **يقول:**

---

1) قاسم، عدنان، التصوير الشعري، الكويت، مكتبة الفلاح، ط2، 1989م، 241.

)2 مفلح، محمود، الأعمال الشعرية الكاملة، 181/1.

3) مفلح، محمود، الأعمال الشعرية الكاملة، 1/ 181.

4) مفلح، محمود، الأعمال الشعرية الكاملة، 134/1.

5) الصورة في شعر بشار بن برد، 92.

ولم يحن الجبين، ولم يساوم

لكأنَّ كلَّ عذابنا لغوٌ

وكلَّ سياط عسكرنا هزائم

ماذا سنفعل؟

ما السبيل؟

وإنَّ هذا الموج قادم([1])

يفرع الجبين ويرتفع، رافضًا الاستسلام والمساومة، ولولا ذلك لكان عذاب الشرفاء لغوًا ووهمًا، وسياط العسكر مجرَّد صوتٍ جاعرٍ مفرغٍ من الحقيقة، فما هو المطلوب فعله؟ وما السبيل إلى الخلاص؟ سؤالان حائران يقفان عند مفرق اليأس والضعف، وقوة الحق، واستبسال النفس ورفعة الجبين. وإنَّ الوقوف في وجه الضواري من سجنٍ وتعذيبٍ وقتلٍ سمةٌ من سمات الشخصية الفلسطينية المؤمنة بالله، ثم المؤمنة بحقها، لا تبالي بما لحقها من تلك الضواري التي تحوم حولها من كل جانبٍ، وقد كرَّس لها الأعداء كلَّ الطاقات؛ لإخضاعها، والنيل منها، فجاءت الشخصية الفلسطينية المسلمة؛ لتقف في وجه هذا الباطل، متسلحة بالصمود، والثبات، والإصرار على المبدأ.

لا يتقيد الشاعر بأي قيود ولا حواجز تحول بينه وبين التعبير عن إحساسه ومشاعره، وما زالت صوره تحمل الإشارات المباشرة الحقيقية لذلك الإحساس وتلك المشاعر"([2])، فكم تبكي النفس من خذلان الإخوان، ومن تحول بعضهم إلى نظارة ومشاهدين دون أن تتحرك مشاعرهم، أو تُستثار وجدانياتهم، يا لها من خيبة أملٍ قاتلة، وهذا ما حدا الشاعر؛ ليبوح ببكائيته التي يبكي فيها على السكون الجمعي الذي كان مأمولًا منه أن ينتفض، وكان منظورًا إليه ألا يسكت أو يستكين، ففي قصيدة **(آسام)**، يصور الشاعر المشهدمن عميق إحساسه، **فيقول:**

لمـــــــــــاذا يُذبحونَ ونستكين ولا أحدٌ يردُّ ولا يُبيـــــــــــــن

أللإســـــــــــلام نسبتنا وهـــــذا دمُ الإسلام أرخص ما يكـــــون([3])

---

1) مفلح، محمود، الأعمال الشعرية الكاملة، 1/124 – 125.

2) القش، فوزي، مشاكل الفن الحديث، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1968م،40.

3) مفلح، محمود، الأعمال الشعرية الكاملة، 1/ 126.

يتساءل الشاعر عن أسباب المذابح التي ترتكب في حق المسلمين دون إحساسٍ من أحد، في صمتٍ عربي وإسلامي مجحف، ولا يجرؤ هؤلاء ولا أولئك على الرَّد، ولا إبانة الموقف إزاء ما يحدث من قتل وإهلاك، ثم يعاود السؤال بثوب الإنكار ونفي نسبة الإسلام عن أهله؛ لهوان دم المسلمين، بل دم الإسلام نفسه في نفوسهم، فعاد رخيصًا بلا ثمن.

تغوص خناجر الطاغوت فينـــــا وينحرنا التَّسلُّط والجنـــــــــون([1])

فكانت النتيجة أن تغوص خناجر الأعداء من طواغيت الأرض في الجسم العظيم، فينحرونا دون شفقة أو رحمة، متسلطين على رقابنا الضعيفة الذليلة المستكينة، في مشهدٍ لا يستوعبه عقل عاقل، في مشهدٍ جنوني بحت.

دم الإسلام مسفوحٌ فمـــــن ذا يردُّ له الكرامة أو يصـــــــون
تحاصرنا المجازر كلَّ يـــــوم وتُهدم في مرابعنا الحصـــــون
فكم من مسجدٍ أضحى يبابـــــًا وعاث به التهتُّك والمجـــــون([2])

إنَّ "استعمال الكلمات عند الفنان يمثل مغامرة في سبيل الكشف، والخيال وثَّاب، وهو يجوس بين الكلمات التي يمارسها"([3])، وهذه مجموعةٌ من المشاهد المجازية يبدأها بمشهد الإسلام الذي صيره جسدًا لقي حتفه، وسال دمه مسفوحًا، ثم أتبعه بمشهد المجازر التي جعلها في هيئة عدو يحاصِر الأبرياء أصحاب الحق يوميًا، ثم يتلوه مشهد هدم الحصون من اليد المجهولة النكرة المترددية، ثم تتوالى المشاهد بتصوير دم الإسلام المسفوح الذي ينزف أمام العالم؛ ليأتي صوتٌ شاحبٌ تلوَه يسأل: مَن ذلك الذي يمكنه أن يعيد كرامة الإسلام والمسلمين التي غابت، يبدأ من تقانة الوصف السريع ذات السمات التي يندمج فيها الداخل بالخارج، ولا تقف عند الوصف الحسي المجرد بقدر ما تصوِّر مشاعر الشاعر، ودواخله، وتعكس حالته النفسية([4])، فتدور العدسة من جديد؛ لتكشف عن جوع وصراخ وعويل، فالحصار بلغ أوجه يقضم الأيام، ويبتلعها

1) مفلح، محمود، الأعمال الشعرية الكاملة، 126/1.

2) مفلح، محمود، الأعمال الشعرية الكاملة، 127/1.

3) هايمن، ستانلي، النقد الأدبي ومدارسه الحديثة، ترجمة: إحسان عباس، ومحمد يوسف نجم، بيروت، دار الثقافة، 1981م. 10/2.

4) خلف، عبد الرازق، وآخر، الهيمنة السردية وتقنياتها الإجرائية في النص الشعري الحديث – ياسين طه – أنموذجًا – ،4.

دون اكتراثٍ من أحد، ثم تتحرك ثالثة لتصور مرابع المسلمين وفيافيهم وحصونهم التي انهدت وانهدمت فما عادت لهم منعة، ثم التوت العدسة؛ لتصوير المساجد التي أضحت يبابًا خاليةً داخلها المجون، وتربع فيها الفجور.

هنالك في ثرى لبنان أفعـــــــــى وفي (آسام) ثعبانٌ قريــــــــن

لمـــــــــاذا لا تحركنا الرزايـــــا ولا يجتاحنا الغضب الدفيـــــن([1])

وتنتقل العدسة إلى لبنان تصوِّر الأفعى التي نفثت سُمَّها في ثراه، دون أن يستنكر أحدٌ، أو يستهجن بشرٌ، فما جموع الشهداء، وما عويل ذويهم، وحصارهم، ونهب أرضهم، حرَّك في الإنسانية إحساس أو شعور؛ لكونهم أحبوا للإسلام والمسلمين هذا المآل، وتلذذوا به، وفي المقابل لو طنَّت ذبابةٌ في الأرض لأزعج طنينها السامعين؛ لكن هيهات هيهات، كأنَّ دم العروبة والإسلام لا شيء، ولا ثمن، ولا قيمة، هو ماء؛ وإنَّ الماء يغليه الفطين. والسؤال الإنكاري المُلِحُّ، لماذا لا تحركنا المصائب، ولا يبادرنا الغضب المدفون في عروقنا؟

لقد كانت لنا في الكــــــون شمسٌ وكان لنا على الدنيا جبيــــــن

يُضيء لهم كتــــــــاب الله نهجًا وحبل الله حبلهم المتيــــــــن([2])

يعاود الشاعر تأكيد استعادة الأمل بـ**(لقد)**، وباسترجاع الماضي السعيد بفعله المكرر **(كان)**، يستعرض فيه صورة الإسلام بهيئته الحقيقية التي تخالف حقيقة الواقع؛ ليضفي على النفس أملًا، ويحفزها إلى استنهاض الهمة، ويفجِّر فيها لهيب الغَيرة، ويدفعها نحو الثورة على ضعفها أولًا، ثم الثورة على عدوِّها ثانيًا، فذكر الإسلام شمسًا تسطع، وجبينًا أغرّ، وخيولًا تجمح لا تلين، وسفينًا تمخر باسم الله في عباب الأرض، وتسيح في الكون على بركاتٍ من الله وتوفيق منه، مضاءة بكتاب الله، تقبس منه في سبيلها، موصولة به مع ربها. فكان لها ما كان.

نتائج البحث: خلُص البحث إلى مجموعةٍ من النتائج، منها:

أولًا: استكناه جملة كبيرة من القيم الدينية الجميلة الأخاذة التي بثَّها الشاعر في أعماله الشعرية، والتي توزعت إلى قيم مستقاةٍ من العقيدة الإسلامية، وأخرى من التشريع الإسلامي، وثالثة تتعلق بسلوك المسلم في الحياة، مع ما حوله.

1) مفلح، محمود، الأعمال الشعرية الكاملة، 127/1.

2) مفلح، محمود، الأعمال الشعرية الكاملة، 127/1.

ثانيًا: توزعت القيم الدينية في القصائد، فكان المستخرج من نصيب قيم العقيدة حوالي **(20%)**من مجمل القيم، ونصيب التشريع كذلك، بينما حضرت قيم السلوك بنسبة كبيرة؛ للدلالة على حاجة المسلمين اليوم إلى تطبيق السلوك الأجمل والأحسن في الحياة.

ثالثًا: تشكلت القيم الدينية في الأعمال الشعرية، فكان منها ما يخصُّ العقيدة الإسلامية، والإيمان بالله، ومنها ما يخصُّ العبادات، وثالثة تخص السلوك الديني، وفي كلٍّ منها تفريعاتٌ من القيم الجميلة التي بثَّها الشاعر؛ لكونها أشغلت وجدانه، وألهبت عاطفته، بسبب ما يعانيه المسلمون اليوم من ضعفٍ وقهر، وتراجع قيمي واضح.

رابعًا: كشف البحث عن صورة القيم الدينية الجمالية، كما رسمها الشاعر بمعالمها الجاذبة، مع توضيح أبعادها الجمالية؛ فكانت حافزًا مشجعًا بالتزود منها؛ لمواجهة عوارض الحياة، واستدامة الصلاح، وانتهاج الخير والبر سلوكًا.

خامسًا:انكشفت للبحث صور قصائد الشاعر، والتراكيب اللغوية التي استخدمها، فرآها قد تزيَّت بزيٍّ فنيٍّ مؤثرٍ وجذاب، فهو لم يعتمد الشاعر على الأسلوب الخطابي التقريري في التوجيه والنصح، وإسداء الحكمة؛ ورشح السلوك الحميد الدال على الخير؛ إنما اعتمد أسلوبًا فنِّيًا رشيقًا، له وقعٌ في الخاطر، وطنينٌ في النفس.

سادسًا: اختلطت المعاني الدينية التي ساقها الشاعر وتلاحم بعضها ببعض؛ لكونها خرجت من معينٍ واحد، ومصدر أصيل. فالعقيدة تلاحمت مع الشريعة، واستنبتا معًا السلوك القويم، والقيم النبيلة، التي تسهم في بناء الفرد السليم، والمجتمع الفريد، وفق ما يحبه الله تعالى ويرضاه، دون أن يلوي عن تعاليم الإسلام، أو أن يجهل شيئًا منها.

توصيات البحث: يوصي البحث بعد اطلاعه على الأعمال الشعرية بمجموعة من التوصيات، **منها:**

أولًا: تتويج الشاعر بالذكر الحسن، والثناء الذي يستحق، وذلك لشعوره الجميل ذي الأبعاد الدينية والإنسانية والوطنية، التي حمل للإنسانية فيه أسمى المعاني التي تبني الفرد والجماعة.

ثانيًا: تضمين بعض قصائد الشاعر التي تزخر بالقيم الدينية في الكتب المدرسية والجامعية؛ لتكون أنموذجًا فنيًا يعرضها بحلتها الجمالية، مع تعزيز الأعمال الشعرية للشاعر من خلال دراسة المزيد من أنواع القيم الأخرى، كالقيم الأخلاقية، والوطنية، والجمالية، وغيرها.

ثالثًا: بثّ المعاني الدينية وقيمها بصورها الجمالية المؤثرة مما ذكره الشاعر في أعماله الكاملة، وذلك عبر وسائل الإعلام المختلفة؛ لكي تأخذ حظَّها من التفاعل، وتغيير واقع الأمة المسلمة الذي يشهد تراجعًا في القيم الدينية وغيرها.

المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم:** كلام الله تعالى.
- ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله (د. ت):المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، مصر، دار النهضة.
- أحمد، رحمة، ويعقوب، عدلي (2008م):***الإسلام والأدب الملايوي – تحليل للنقاشات في ماليزيا***، كوالالمبور، الجامعة الإسلامية العالمية.
- أنيس، إبراهيم (1966م):***من أسرار اللغة***، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط3.
- ابن باز، عبد العزيز، ***محاضرة دينية***، الناشر: مجلة البحوث الإسلامية، الرياض.
- الأمراني، حسن (2000م):***سيمياء الأدب الإسلامي***، ط1، بحوث المؤتمر الثاني – كلية الآداب، (الأدب الإسلامي – الواقع والطموح)، جامعة الزرقاء الأهلية.
- بدر، عبد الباسط (1986م):***مقدمة لنظرية في الأدب الإسلامي***، دار المنارة، جدة، ط1.
- البركتي، محمد عميم الإحسان (2003م):***التعريفات الفقهية – معجم بشرح الألفاظ المصطلح عليها بين الفقهاء والأصوليين وغيرهم من العلماء***، دار الكتب العلمية.
- ابن جلون، العربي (1986م):***جدال وسجال***، مطبعة المعارف، الرباط، ط1.
- الجوهري، ابن حماد، إسماعيل أبو نصر (2009م):**الصحاح في اللغة**، تحقيق: محمد محمد تامر وآخرون، القاهرة، دار الحديث.
- أبو خضيري، عارف كرخي (2010م): العالمية: ***نحو نظرية الأدب الإسلامي***، جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية، بروناي.
- خلف، عبد الرازق، وحسين، يونس عباس (2010م):***الهيمنة السردية وتقنياتها الإجرائية في النص الشعري الحديث – ياسين طه – أنموذجًا*** – مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بغداد.

- خليل، عماد الدين (2007م):***مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي***، دار ابن كثير، دمشق.
- ستار، عبد الله (2008م):***إشكالية التلقي في جدل الحداثة الشعرية***، مجلة كلية التربية الأساسية، الجامعة المستنصرية، ع53.
- عباس، إحسان (2001م):***اتجاهات الشعر العربي المعاصر***، عمان، غزة، دار الشروق، ط3.
- عبد الرحمن، طه (2006م):***الحق العربي في الاختلاف الفلسفي***، المغرب، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط2.
- عبد الرحمن، نصرت (1982م):***الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث***، عمان، مكتبة الأقصى.
- عصفور، جابر(1992م):***الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي***، بيروت، المركز الثقافي العربي.
- العقل، ناصر(2011م):***مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة***، **ومواقف الحركات الإسلامية المعاصرة منها**، دار الوطن، ط1.
- الفيروزآبادي، محمد أبو طاهر (2005م):***القاموس المحيط***، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، لبنان، بيروت، ط8.
- قاسم، عدنان (1989م):***التصوير الشعري***، الكويت، مكتبة الفلاح، ط2.
- القش، فوزي (1968م):***مشاكل الفن الحديث***، بيروت، دار الكتاب اللبناني.
- قطب، محمد (1983م):***منهج الفن الإسلامي***، ط6، دار الشروق، بيروت – القاهرة.
- مجمع اللغة العربية (2011م):***قاموس المعجم الوسيط***، القاهرة، ط5.
- كروتشه، بندتو(1947م.):***المجمل في فلسفة الفن***، ترجمة: سامي الدروبي، القاهرة، دار الفكر العربي
- كولردج، (1971م):***النظرية الرومانتيكية – سيرة ذاتية***، ترجمة: عبد الحكيم حسان، مصر، دار المعارف.
- العطية، مروان (2012م):***معجم المعاني الجامع***، مركز إيوان للنشر والتوزيع بالاشتراك مع دار النوادر، مصر.

- مفلح، محمود(2017م):***الأعمال الشعرية الكاملة***، مؤسسة إحياء التراث، وتنمية الإبداع، ط1.
- ابن منظور (1300هـ):محمد بن مكرم بن علي، ***لسان العرب***، مطبعة بولاق.
- ناصف، مصطفى (1958م):***الصورة الأدبية***، مكتبة مصر.
- نافع، عبد الفتاح (1983م):***الصورة في شعر بشار بن برد***، عمان، دار الفكر للنشر.
- هايمن، ستانلي (1981م):***النقد الأدبي ومدارسه الحديثة***، ترجمة: إحسان عباس، ومحمد يوسف نجم، بيروت، دار الثقافة.
- الندوي، محمد الرابع الحسني (1985م): ***الأدب الإسلامي وصلته بالحياة – مع نماذج من صدر الإسلام***، مؤسسة الرسالة، ط1.
- وهب، رومية (1996م):***شعرنا القديم والنقد الجديد***، الكويت، سلسلة عالم المعرفة.

- **مواقع الإنترنت:**
- سنه، ناصر أحمد، **(مقال)** ***في الأدب الإسلامي – خصائصه ووظائفه وجمالياته،*** ***www.saaid.netlarabicl324.htm***
- **http ://alqudslana.com**
- **www.ektab.com**
- **www.alukah.com**